

سلسلة التعريف
بعلم التاريخ ٢

إعداد المؤرخ

الثقة

د . محمد بن موسى الشريفي
المشرف على موقع التاريخ

مؤلفات

محمد بن موسى الشريف

- ١- حقوق آل البيت والصحابة على الأمة
- ٢- أهل الإسلام والتغلب من ظاهر الالتزام
- ٣- التنانع والتوازن في حياة المسلم
- ٤- الثبات أهميته
- ٥- العادات القلبية
- ٦- العادات الكبار
- ٧- الترف وأثره في الدعاة والصالحين
- ٨- العاطفة الإيمانية
- ٩- الجانب المعرفي للمشتغلين بالعلوم الشرعية
- ١٠- حصول الطلب بسلوك الأدب
- ١١- التوريث الدعوي
- ١٢- من مآسي الانفراق وأثر ذلك على الأمة
- ١٣- الأمان النفسي
- ١٤- استجابات إسلامية لصرخات أندلسية
- ١٥- أثر المرأة في دنياه
- ١٦- الإمام المجاهد يوسف بن تاشفين المرابطي
- ١٧- عجز النكات
- ١٨- شخصية الشيخ عبد العزيز بن باز
- ١٩- حرية المرأة بين كتابات المسلمين وتطبيقات الغربيين
- ٢٠- الثقاقة الآمنة
- ٢١- حرية المرأة - عصمة وأنوثة وزينة
- ٢٢- الهمة طريق إلى القمة
- ٢٣- علماء آسيا الوسطى
- ٢٤- المرأة الداعية معالم وعقبات ومحاذير
- ٢٥- ظاهرة التهاون بالمواعيد
- ٢٦- جدد حياتك رسالة إلى من جاوز الأربعين
- ٢٧- تسبيح ومناجاة وثناء
- ٢٨- عظماء منسيون ج ١
- ٢٩- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول
- ٣٠- عظماء منسيون ج ٢
- ٣١- الصفات التي أنضجت دعوة النورسي
- ٣٢- تدريب وأهميته في العمل الإسلامي
- ٣٣- ضوابط منهجية في عرض السيرة النبوية
- ٣٤- الشوق والحنين إلى الحرميين
- ٣٥- قصص وطرائف من الحج
- ٣٦- الطرق الجامحة للقراءة التافعة

دار دنين للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

جده - حي الجامعة - ت - هاكس - ٠٩١٢١٨٧١٩٧٣
a_honen@hotmail.com

دار التوزيع والنشر

٢٥ ش بور سعيد - السيدة زينب - القاهرة
٢٣٩١٧٩٥٠ ت - ت - ٣٣٩١٧٩٥٦
deltwzea@gmail.com www.eldaawabookshop.com

I.S.B.N : الترقيم الدولي :



سلسلة التعريف بعلم التاريخ (٢)

الرسالة الثانية

إعداد المؤرخ الثقة

تأليف

محمد بن موسى الشريفي



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٣٧٦١

الترقيم الدولي: I.S.B.N:

978-977-725-048-1

مركز السلام للتجهيز الشني
عبد الحميد عمار
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

دار التوزيع والنشر
ش.ذ.م.م



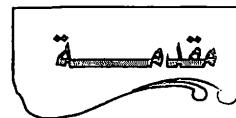
مـصـارـقـ الـقـادـرـةـ السـيـدـ زـيـنـبـ صـبـ ١١٣ـ

٢٥١ شـ بـورـ سـعـیدـ تـ ٢٢٩ـ ١٣٧٤ـ تـ ٣٧ـ لـاـكـسـ

مـكـبـةـ السـيـدـةـ ٨ـ مـيدـانـ السـيـدـةـ زـيـنـبـ تـ ٢٢٩ـ ١٣٧٥ـ

www.eldaawa bookshop.com

Email:d.eltwzea@gmail.com



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه
وصحبه أجمعين، وبعد:

قضية العناية ببعض الحاذقين والأذكياء ليصيروا مؤرخين هي قضية في غاية الأهمية؛ خاصة بعد أن صارت أقسام التاريخ في الجامعات لا يدخلها إلا الضعاف - في الأغلب - في التحصيل الدراسي العلمي، ومتوسطو القدرات الذهنية، ونشأ من هذا أن تخصص في التاريخ أشخاص غير مبدعين ولا متجين، وكان من جراء ذلك أن تصدى لنشر التاريخ والكتابة فيه والحديث عنه عوضاً عن أولئك أشخاص لم يدرسوا في أقسام التاريخ في الجامعات - في الأغلب - إنما أحبوا التاريخ وعُنوا به، وهذا مشاهد في هذا العصر.

وهذا لا يعني أنني أغبط حقاً مؤرخين كبار درسوا علم التاريخ في الجامعات، ونالوا فيه أعلى الشهادات، غير أنني أتكلّم على الأغلب من تصدى للتاريخ في زماننا هذا وتتصدر فيه فإنما هو محب له، متوجّل فيه، لكنه لم يدرسـه دراسة جامعية نظامية.

وأرى - والله تعالى أعلم - أن إعداد مؤرخين ثقـات يُعنون بتاريخ الأمة ويولونه الاهتمام الكافي، هو أمر يصل إلى درجة الوجوب الكفائي؛ وذلك لأنـثر علم التاريخ بالـغـ على الأجيـالـ، وأهمـيـتـهـ فيـ

البنيان الإيماني والثقافي والحضاري للأمة:

«إن موضوع رسالة المؤرخ في المجتمع لقي اهتماماً واضحاً في العديد من الأقطار الأوروبية، مقابل الإهمال السائد عند المؤرخين والباحثين العرب لدراسة دور التاريخ في الحياة العامة في المجتمع العربي، فدور المؤرخ العربي في بناء الثقافة العربية الإسلامية ودعمها - مع وجود حالات فردية واستثنائية - لا يوصف بكونه إيجابياً أو بالمستوى المطلوب...»^(١).

والمؤرخ المسلم قد اجتمعت عليه عوامل أضعفـت عملـه، وقلـلت أثرـه في المجتمع، وهي عوـامل سياسـية واقتـصادـية واجـتماعـية أحـدثـت قـطـيعـةـ بين المؤـرـخـ و مجـتمعـهـ، «وـجـعـلـتـهـ يـفـرـ إـلـىـ نـفـسـهـ وـعـزـلـتـهـ وـيـهـابـ المـغـامـرـةـ وـالـمـواـجـهـةـ، وـقـدـ زـادـتـ هـذـهـ الـمـتـغـيرـاتـ منـ الـأـبـعـاءـ الـحـيـاتـيـةـ وـالـمـهـنـيـةـ عـلـىـ المؤـرـخـ سـوـاـ كـانـ عـضـواـ تـدـرـيـسـيـاـ فيـ الجـامـعـةـ أوـ فـرـدـاـ فيـ المـجـتمـعـ فـأـنـقـلـتـ كـاهـلـهـ، وـقـيـدـتـ حـرـكـتـهـ، وـأـضـعـفـتـ عـطـاءـهـ، وـبـالـتـالـيـ حـالـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ أـدـاءـ رـسـالـتـهـ أـوـ دـورـهـ فيـ تـوـجـيهـ لـيـسـ فقطـ جـمـوـعـةـ مـنـ الـأـفـرـادـ فـيـ مـؤـسـسـةـ تـعـلـيمـيـةـ مـعـيـنـةـ تـوـجـيهـاـ وـاعـدـاـ مـنـظـمـاـ بـلـ تـوـجـيهـ جـيـلـ بـكـامـلـهـ وـتـعـبـيـتـهـ لـحـيـاةـ يـدـرـكـ فـيـهاـ وـاجـبـاتـهـ فـلـاـ يـتـهـرـبـ مـنـهاـ، وـيـعـرـفـ حقوقـهـ فـلـاـ يـتـخلـلـ عـنـهاـ...».

إن على المؤرخ أن يكتب في اتجاهين: الاتجاه العلمي التخصصي من خلال بحوثه ومحاضراته في رحاب الجامعة، والاتجاه الثاني هو الثقافة التاريخية العامة الموجهة أصلًا لمثقفي الأمة عموماً، وفي كلتا الحالتين فإن عليه أن يؤكـدـ عـلـىـ النـظـرـةـ الشـامـلـةـ وـدـورـ التـارـيـخـ فـيـ الـحـيـاةـ

(١) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٥٤.

العامة والتي عن طريقها يتحقق التاريخ رسالته في بناء الأمة»^(١).

هذا وقد أخذت في تأليف سلسلة تعريفية بعلم التاريخ، بدأتها برسالة: «كيفية قراءة التاريخ وفهمه»، ثم هذه هي الرسالة الثانية، وهي موجهة لمن يريد أن يتخصص في علم التاريخ ويتصدى لنشره بين الناس وإفادتهم به، فلابد لمثل هذا أن يطلع على جملة من القواعد والضوابط أرجو أن أكون قد قربتها له في هذه الرسالة، وهي مفيدة -إن شاء الله تعالى- لمن لم يدرس التاريخ دراسة منهجية، ولم يدرس العلوم الشرعية، ففي الرسالة ما يلزم معرفته منها قبل الخوض في هذا العلم المهم، ولا بد له من الجمع بين هذه الرسالة والرسالة السابقة عليها: «كيفية قراءة التاريخ وفهمه» حتى يقف على القواعد والضوابط المهمة في علم التاريخ.

وقد سرت في هذه الرسالة على ما التزمت به في أكثر كتبى ورسائلي من إيجاز؛ وذلك لعلمي بقلة صبر أكثر أهل عصرى على قراءة المطولات، وعزوفهم عن مطالعة الكتب الكبار المبسوطات، وهذا بسبب كثرة الأعمال وتواли المهام، ولتدني الهمم وقلة الثبات، لكن حسبي أنى أتيت براءوس المسائل مع شيء من التفصيل اللائق بها والمناسب لما أريده منها، وأحللت القارئ المريض للتفصيل والتطويل بعد ذلك على مصادر ومراجع تمكنه من الوقوف على ما يريده من الدقائق.

على أن هذه المادة -أي علم إعداد المؤرخين- لم أجده من أفردها بالبحث، ولم أقف علىَ من خصها بالعناية من القدماء والمحدثين،

(١) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٥٤.

فدونكم -معاشر القراء- هذه الرسالة، وحسبكم هذه المقالة لمن أراد الولوج في مضائق هذا العلم فأظن -والله تعالى أعلم- أنها كافية في بابها لمن أراد الخوض، ورعاية هذا الروض.

وهذه الرسالة تالية لرسالة سابقة، فعلى ذلك إن لم يجد القارئ في هذه الرسالة ما يراه مهياً أن يذكر ويُورَد، أو يعد الرسالة ناقصة بدونه فعليه أن يطالع الرسالة السابقة ففيها جملة قواعد وضوابط ومعالم، لم أشأ أن أكررها في هذه الرسالة -على أن لها بعض الصلة بها- وذلك تجنبًا للتكرار والتطويل، وما صنعته هو الجادة التي لا بد لمصنف السلسل من السير عليها حتى لا يكرر ويطول بغير فائدة، والله أعلم، على أنني سأشير في بعض الموضع إلى الرسالة الأولى السابقة لاكتئاب الفائدة بالرجوع إليها.

والرسالة الثالثة القادمة -إن شاء الله تعالى- ستكون بعنوان «الترجم وأثرها في السلوك الإنساني». والله -تعالى- أسأل التوفيق والقبول، والإخلاص في القول والعمل. وصلَّى اللهُمَّ وسلمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كتبه حامداً مصليناً

العبد الضعيف

محمد بن موسى الشريفي

mmmalshareef@hotmail.com

www.altareekh.com

<http://www.youtube.com/maltareekh>

TWITTER.com/DRMOHAMMEDMH

www.facebook.com/mhmalshareekh

المبحث الأول

صفات المؤذن



المبحث الأول: صفات المؤرخ

لابد لمن يتصدى لهذا العلم ويريد أن يتصدر فيه أن يكون جامعاً لخلال وصفات تؤهله لهذه المهمة العظيمة، فمن ذلك:

١- حسن الصلة بالله تعالى:

لابد لمن يتصدى للتاريخ أن يكون حسن الصلة بالله، له حظ من التقوى وخوف الله تعالى، وذلك حتى يتعامل مع التاريخ قراءةً واستنباطاً على نور من الله تعالى وفهم لمراده، فلا يعود يفسر التاريخ إلا تفسيراً إسلامياً وينأى عن التفسيرات الخاطئة للتاريخ كالتفسير المادي والقومي، والتحرري: «الليبرالي»، واللاديني: «العلمانى». (١)

ولئلا يسوقه الهوى ويعيمه التعصب.

ولبىتشعر المسئولة الكبيرة الملقاة على عاتقه وهو يكتب تاريخ الأمة العظيمة التي أخرجها الله للناس، فهو أشبه بالقاضي والحاكم. ولابد أن يكون أميناً في النقل من المصادر والمراجع، فلا يحتزئ من النصوص أو يتلاعب بها ليخرج بنتائج تخدم مذهبه أو وجهته الفكرية والعقدية.

(١) هذه التفاسير المضللة للتاريخ سبّاق الحديث فيها في ثنايا هذه الرسالة، إن شاء الله تعالى.

وفي بعض ذلك يقول الإمام تقي الدين السبكي^(١) -رحمه الله تعالى- مبيناً كيف ينبغي أن يكون المؤرخ: «أن يكون عالماً عادلاً صادقاً، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى...»

وأن يسمى المقول عنه...

وأن يكون حسن العبارة، عارفاً بمدلولات الألفاظ، وأن يكون حسن التصور...

وألا يغلبه الهوى...».^(٢)

وقال تاج الدين عبدالوهاب السبكي^(٣):

«فإن أهل التاريخ ر بما وضعوا من أنس ورفعوا أناساً للتعصب، أو لجهل، أو لمجرد اعتقاد على نقل من لا يوثق به، أو غير ذلك من

(١) تقي الدين السبكي: الشيخ الإمام علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، تقي الدين، أبو الحسن الشافعي. ولد بالسبك العبيد بمصر سنة ٦٨٣، ونشأ ودرس بها وبالقاهرة، ثم انتقل إلى دمشق قاضياً وخطيباً في الجامع الأموي، ثم انتقل إلى مصر مريضاً، وتوفي بها سنة ٧٥٦، رحمه الله تعالى. انظر: «الدرر الكامنة»: ٣/١٣٤ - ١٤٢.

(٢) «حسن فتاوى لم تنشر»: «مجلة معهد المخطوطات»: ٢/٦٣.

(٣) عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، تاج الدين. ولد سنة ٧٢٧، وقرأ على جملة من المشايخ، وأمعن في طلب الحديث والاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب، وكان ذا بлагة وطلارة ومعرفة بالأمور. له مصنفات انتشرت في حياته ورزق فيها السعد. ولد عدة وظائف في بلاد الشام وانتهت إليه رئاسة القضاء والإفتاء فيها، وحصلت له محنة ثبت فيها وصفح عن من أساء إليه. توفي سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/٣٩ - ٤١.

الأسباب، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب، وقل أن رأيت تاريخاً خالياً من ذلك».^(١)

وقال أيضاً: «المؤرخون، وهم على شفا جرف هار؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب، فلا بد أن يكون المؤرخ عادلاً عدلاً، عارفاً بحال من يترجمه...»

وربما كان الباعث له في الصفة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنه على ضلال فيقع فيهم، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك».^(٢)
وقال الحافظ ابن حجر^(٣) -رحمه الله تعالى-:

«الذى يتصدى لكتابة التاريخ... يلزمـه التحرى في النقل، فلا يجزم إلا بما يتحققـه ولا يكتفى بالنقل الشائع، ولا سيما إن تربـت على ذلك مفسدة...».^(٤)

وقال الأستاذ سيد -رحمـه الله تعالى- ميـنا أهمـية الالتزام بالإسلام في إعداد المؤـرخ: «إنـه من الصـعب التـصور بـإمكان دراسـة الحياة الإـسلامـية

(١) «حسن فتاوى لم تنشر»: «مجلة معهد المخطوطات»: ٢/١٦٣.

(٢) المصدر السابق: ٢/١٦٤.

(٣) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ، إمام الأئمة، أبو الفضل الكتاني العسقلاني المصري، ثم التاهري الشافعي، ويعرف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر العتيقة، حفظ بعض المنظومات، وأخذ على كثير من المشايخ، وجداً في الفنون حتى بلغ الحياة، وأقبل على الحديث بكليته، وارتحل في طلبه، وولي عدة وظائف في الخمسة والإمامـة والقضاء، وله المصنـفات النافـعة المشـهورـة. توفي في القاهرة سنة ٨٥٢هـ، رحـمه الله تعالى. انظر: «الضـوء الـلامـع»: ٢/٣٦.

(٤) «حسن فتاوى»: ٢/١٦٨.

كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية وإدراك التصور الإسلامي عن الله والكون والحياة والإنسان، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة وطريقه في الاستجابة للحياة كلها في ظل العقيدة، وهذه الخصائص لا توجد عند غير الباحث المسلم المتلزم بإسلامه^(١).

٢- القدرة على النقد الحسن:

لا بد لم يريد التخصص في التاريخ أن يكون قادرًا على امتلاك الحس النقدي الذي يمكنه من ضبط المادة التاريخية وتنقيتها، وهذا لا يكون للضعف ذهنياً إنما لا بد أن يكون المؤرخ من أصحاب القدرات الذهنية فوق المتوسطة، وسيأتي مزيد لهذا في صلب الرسالة.

٣- الرغبة الدافعة له إلى الصبر:

ولا بد أن يكون له رغبة واضحة وصبر جميل في قراءة مطولات التاريخ؛ إذ لا يصبر على ذلك إلا القليل، وكم جاءني من شباب متهمس يريد التخصص في التاريخ ثم إنه لا يصبر على تبعات هذا التخصص من قراءة مطولة، وغوص عميق في البحث، فلا يلبث أن ينقطع أو يتخلل بمعاذير تسقه إلى الانقطاع.

٤- الذكاء وحسن الاستنباط والتعليل:

لا بد أن يكون مريد التخصص في التاريخ ذكيًا فطناً، حسن التصور، لديه قدرة جيدة على الاستنباط.

(١) «في التاريخ فكرة ومنهاج»: ٤٦، نقلًا عن «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٩٤.

- ولا بد أن يكون لديه القدرة على التعليل والتحليل، وجمع النظير إلى نظيره، واستنباط العبر والعظات والربط بين الأحداث لاستخراج نتيجة أو قاعدة هي أقرب ما يمكن إلى الواقع، وهو ما يسمى بـ «النظرة الكلية لأحداث التاريخ»، قال الأستاذ سيد، رحمة الله تعالى:

«التاريخ ليس هو الحوادث إنما هو تفسير هذه الحوادث^(١)، واهتماء إلى الروابط الظاهرة والخلفية التي تجمع بين شتاها وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمان والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان»^(٢).

- واشترط ابن خلدون^(٣) في المؤرخ أن يكون عارفًا «بقواعد السياسة وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاء والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك

(١) قوله: «التاريخ ليس هو الحوادث» ليس على إطلاقه، بل الحوادث وسردها جزء مهم من التاريخ ، فكأنه أراد بهذا التبني المبالغة في الحرص على الفهم والاستنباط لا نفي مكون أساس من مكونات التاريخ.

(٢) «في التاريخ فكرة ومنهاج»: ٣٧، نقلًا من كتاب «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٥٢.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد، ولد الدين الخضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي الباحثة. أصله من إشبيلية، وولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ونشأ بها. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمisan والأندلس، وتولى أمصاراً، واعتبر ضته وشياطين ثم عاد إلى تونس. ارتحل إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولي فيها قضاء المالكية، ثم عزل وأعيد، توفي فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ، رحمة الله تعالى؛ وكان فصيحةً، عاقلاً، صادق اللهجة، طاغياً للمراتب العالية، له عدة كتب. انظر: «الأعلام»: ٣٣٠ / ٣.

وما يمثله ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتحليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودعاعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوى عالياً لأسباب كل حادث، واقفاً على أصول كل خبر».^(١)

وقال مؤكداً على شرط الفطنة وحسن التصور:

«ومن الغلط الخفي في التاريخ النهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء قوي شديد الخفاء... فربما يسمع السامع كثيراً من الأخبار الماضية ولا يتغطى لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيُجربها لأول وهلة على ما عرف، ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينها كثيراً فيقع في مهواه الغلط».^(٢)

٥- اتباع الحق لا التجدد والجحاد:

يطلب المنهج الغربي من الكاتب أن يتجرد من كل شيء وأن يكون محايضاً في كل شيء حين يبحث ويدرس ويكتب، وهذا هراء وباطل من جهتين:

١) لأنهم هم أنفسهم -في أكثرتهم الكاثرة- لم يتبعوا هذا المنهج، وكانوا يكتبون في دراساتهم الاستشرافية في الإسلام بتصوراتهم الخاطئة عنه، ويبغضون شديد له، وينحيازون كبير جداً وخلوًّا من الإنصاف، فكيف يطالبوننا بما عجزوا هم أنفسهم عنه، ولم يتخلص أكثرهم منه.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٥١ نقلًا من كتاب «التاريخ والمؤرخون العرب»: ٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٣٨.

٢) إن هنالك فرقاً بين أن يكتب المؤرخ متبعاً الحق والصدق والتزاهة والإنصاف ويرجح الصحيح ويرد الباطل، وهذا مطلوب، وبين أن يكتب بحياد عاطفي وتجرد قلبي وهذا مستحب؛ إذ كيف يكون المؤرخ حيادياً وهو يكتب عن دينه وإسلامه الذي ينبغي أن يفتديه بكل ما يملك؟ وكيف يكون حيادياً وهو يكتب عن نبيه ﷺ ومطلوب منه أن يحبه أكثر من حبه أي مخلوق آخر؟ وكيف يكون حيادياً وهو يكتب عن تاريخه ويرى أنه أنصع وأجمل وأحسن تواريХ البشرية مطلقاً؟

قال الأستاذ سيد -رحمه الله تعالى- في الإنسان إنه «ليس من طاقتة أن يكون له منهجان واتجاهان مختلفان في آن واحد؛ لأن صاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقيقة يتجرد من مقتضياتها وقيمها الخاصة في موقف واحد من مواقف حياته كلها صغيراً كان هذا الموقف أم كبيراً، فهو لا يملك أن يقول كلمة أو يتحرك حركة أو ينوي نية أو يتصور تصوراً غير محکوم في هذا كله بعقيدة -إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه- لأن الله لم يجعل له سوى قلب واحد يخضع لناموس واحد، ويستمد من تصور واحد، ويزن بميزان واحد، إن صاحب العقيدة لا يملك أن يقول عن فعل فعله: فعلت كذا بصفتي الشخصية، وفعلت كذا بصفتي الإسلامية»^(١).

وقد قال الأستاذ المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله^(٢) معلقاً على هذا الأمر:

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١٤١. نقلأً من «في ظلال القرآن»: ٢٨٢٣/٥.

(٢) أبو القاسم سعد الله شيخ المؤرخين الجزائريين. من مواليد ١٣٤٩/١٩٣٠ بضواحي قمار من ولاية الوادي، الجزائر. باحث ومؤرخ. حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين وهو من رجالات الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني. له سجل علمي حافل بالإنجازات: من وظائف، ومؤلفات، وترجمات. انظر ترجمته مفصلة في «ويكيبيديا» على شبكة الإنترنت.

«أنا من جيل عاشر فترة الاحتلال بشع، وفتح عينيه على بلاده وهي مغتصبة، وشعبه يعاني من الجهل والفقر والاضطهاد، ثم عاشر ثورة نموذجية ضد التسلط الاستعماري^(١)، فإذا كتبت تاريخ هذه الفترة أو هذه الثورة فلن أستطيع كتابتها ببرؤية غيري أو بنظرية محايدة، وربما سأكون غير موضوعي إن مثلت دور غيري في التاريخ الاستعماري لبلادى، وأعتقد أن هذا صحيح بالنسبة لمورخي الاحتلال أيضاً»^(٢).

وما أحسن قول حب الدين الخطيب^(٣) - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة: «إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجال ك موقف وكلاء النيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار^(٤) بظاهر التجدد من كل آصرة بماضي العربة والإسلام جريأ وراء المستشرين في ارتياهم حيث تحسن الطمأنينة، وميلهم مع الهوى

(١) الصحيح أن يقال الاستخاري ليس فيها فعلوه في ديارنا عمار.

(٢) حوارات: ١٩٠.

(٣) هو حب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني، من كبار الكتاب. ولد بدمشق سنة ١٣٠٣ / ١٨٨٦، وتعلم بها وياسطنبول. وشارك في إنشاء جمعية «النهاية العربية» بدمشق. رحل إلى صنعاء وعمل بعض مدارسها، وتنقلت به الأحوال حتى استقر في القاهرة وعمل محراً بالأهرام، ثم أصدر مجلتين «الزهراء» و«الفتح»، وكان من مؤسسي «جمعية الشبان المسلمين»، وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. وله عدة مصنفات. توفي سنة ١٣٨٩ / ١٩٦٩ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٢٨٢ / ٥.

(٤) جمع غير، يعني غير المسلمين.

عندما يدعوهم الحق إلى التثبت...»^(١).

وما أحسن أن يسمى هذا الصنيع عقوّة؛ إذ لا يعني العقوّة في أشد درجاته إلا هذا، فهو لاء عقوّة أمتهم وتاريخهم والرجال العظاء الذين ضحوا من أجل إيصال الإسلام إليهم والحفاظ على بلادهم، فكان جزاؤهم من هؤلاء جزاء سنّار، ويلاتهم إذ صنعوا اتبعوا قوماً راشدين بل اتبعوا الباطل وأهواء المستشرقين وتخميناتهم واهتماماتهم المريضة بالمصادر الضعيفة والساقة، ودثروا كل ذلك بثوب التحقيق العلمي والمنهج الصحيح، وإن الله وإنما إليه راجعون.

والحقيقة أن هؤلاء المؤرخين -الذين يزعمون أنهم منا وليسوا منا- تبؤوا أعلى المناصب في بلادهم، ولُقبوا بأفخم الألقاب، وامتلكوا أَزْمَة الجامعات ومراكز البحث والفكر، واستولوا على قلوب كثيرة وعقول كليلة، وفرضوا أفهماماً مريضة، حتى جاءت الصحوة فصححت المسيرة -بفضل الله تعالى- وعرف كثير من الناس الحق من الباطل، واستقام الكثير من معوج الأفهام، ونُقضَّ الكثير من باطل التصورات.

تلك كانت صفات خمساً لا يمكن لمزيد التخصص أن يُيدع أو يكون له نتاج حسن إلا إن كان متصفاً بها، ولو فاته واحدة منها ظهر النقص في عمله، والعوار في تقريراته وتعليقاته، وليس شرطاً أن يبلغ .

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٥٠٢ نقاًلاً من مجلة الأزهر سنة ٢٤ الجزء ٢ سنة ١٣٧٢.

الكمال في كل صفة منها بل حسبه أن يكون فيه قدر من كل صفة يؤهله للمضي في بحثه سليماً من الضعف، آمناً من الزلل، وهو أمر لا ينضبط لكن يُقدر تقديرًا مرده إلى عرف الزمان والمكان، والله أعلم.

* * *



المبحث الثاني
التأهيل الشرعي



المبحث الثاني: التأهيل الشرعي

لابد من تأهيل من يريد أن يكون مؤرخاً أهلاً شرعاً جيداً، حتى يتوافر له قدر مناسب من العلوم الشرعية الضرورية للمؤرخ ليضبط بها مسيرته في الدراسة والبحث، إذ «التاريخ قد نشأ ضمن العلوم الشرعية، وعلى أيدي رجال الحديث، وصلته بالشريعة وخدمته لها واضحة سواء في ميدان التربية والسلوك، أو في ميدان علم الرجال والجرح والتعديل»^(١).

والمؤرخ إذا كان مبتوت الصلة بالمصادر الشرعية، عن جهل أو عن قصد وعمد فإنه يأتي بالعجائب العجيبة، وينحيط بخطب عشواء، ويُفضل ويُصل، والعياذ بالله، فمن ذلك أن كثيراً من المؤرخين المحدثين ينكرون العجزات والكرامات أو يؤولونها لتصبح غير ذات أثر، ومنهم من يشكك في الغيبيات، ومنهم من لا يؤمن بمفهوم الأمة الواحدة، ومنهم من لا يوقر الصحابة ولا يعرف حقهم، ومنهم من يعتمد على الإسرائييليات ويترك المصادر الشرعية^{(٢) !!}

وإليكم هذه الأمثلة العجيبة التي ساقها فضيلة الدكتور المؤرخ

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٥٣.

(٢) من أراد الاستزادة فلينظر في المصدر السابق: ١٨٧ وما بعدها.

جمال عبدالهادي المصري^(١) - حفظه الله ونفع به - حيث نقل عن أمثال أولئك المؤرخين المقطوعي الصلة بالشرع قوله:

«إن التوراة هي المصدر الوحيد الذي يتضمن هجرة الإسرائيليين إلى مصر وخروجهم منها ودخولهم الأرض الموعودة» !!

فبالله عليكم أين هو من مئات الآيات التي ذكرت بني إسرائيل بالتفصيل سواء في حياتهم في مصر أو فلسطين؟!

ونقل أيضاً عن خمسة من أمثال أولئك المؤرخين قولهم عن العقائد اليهودية: إنهم لا يستطيعون في دراستها الاعتماد على وثائق معاصرة فهي قليلة نادرة لكنهم يستطيعون الاعتماد على تحليل النظم اليهودية والعقائد اليهودية في العصور التاريخية!! هذا والقرآن العظيم قد أوضح جملة من عقائدهم الباطلة لكنهم لم يرجعوا إلى شيء منها»^(٢).

فهذه التصرفات تعني أمررين لا ثالث لها: إما أن هؤلاء المؤرخين جهلة تماماً بالمصادر الشرعية، أو أنهم يتغافلون عنها عمداً لأسباب عديدة، والله أعلم.

(١) الشيخ الدكتور جمال عبد الهادي مسعود، أحد أكبر علماء التاريخ الإسلامي في مصر والعالم الإسلامي.. أحد أعلام دعوة الإخوان المسلمين بمصر، وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى سابقاً. له عدة مصنفات مفيدة في علم التاريخ اشتراك في بعضها مع زوجته الدكتورة وفاء رفعت ، وانفرد في بعضها الآخر ، وقد كان له مشاركة جيدة في الثورة المصرية على النظام الطاغوتي ١٤٣٢/٢/١٩ - ٢٥ يناير ٢٠١١.

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٢٤٤ نقلأ عن كتاب الدكتور جمال عبدالهادي: «تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام منذ أقدم العصور»: ٣٤٥ - ٣٤٨.

ومن العلوم الشرعية التي يحتاجها المؤرخ:

أ) علوم القرآن العظيم:

لابد من فهم القرآن العظيم فهمًا مجملًا يمكّنه من الوقوف على معانيه، والاطلاع على سنته وقواعده ومراميه اطلاعًا عامًّا، والقدرة على استنباط العبر والعظات من آياته الجليلات خاصة الآيات التي تتحدث عن مصائر الأمم السابقة، وأحداث نهاية الزمان.

وقد ورد في القرآن من التوارييخ جملة عظيمة تقدر ب نحو ثلثي القرآن، وهي توارييخ الأمم الماضية، وتاريخ النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، والتاريخ المستقبلي من أحداث آخر الزمان وغيرها، فالقرآن لذلك أعظم مصادر التاريخ الإسلامي، وأكثرها صحة ووثوقًا.

للعرض التاريخي في كتاب الله -تعالى- أهمية جليلة؛ ذلك أنه «يجيء بالقصص والأحداث التاريخية من أجل إبراز الفروق الحادة بين المجتمعات الوضعية والمجتمعات الإسلامية على مدار التاريخ لكي يوضح أنه لا يوجد في كل العالم إلا أمتان اثنان: أمّة الحق وأمّة الباطل، فالحركة هي هدف العرض التاريخي لا مجرد السرد والاستقصاء.

والقرآن يقدم أصول منهج متكمّل في التعامل مع التاريخ البشري، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحَسْبٌ إلى محاولة استخلاص السنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية»^(١).

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١٦٧ نقلاً عن «التفسير الإسلامي للتاريخ» للأستاذ عماد الدين خليل: ٨، ٩.

ويكفي مرید التخصص في علم التاريخ - في فهم علوم القرآن - كتاب «مباحث في علوم القرآن» للشيخ مناع القطان^(١) - رحمه الله تعالى^(٢) وهو كتاب سهل الفهم، قريب التناول، حسن العرض.

ب) فهم سيرة الرسول ﷺ :

إن من أحسن العلوم المساعدة على فهم التاريخ علم السيرة النبوية المشرفة المطهرة، ولا غنى لمريد التخصص في التاريخ من القراءة المركزة المتأنية لسيرة رسول الله ﷺ فهي أصل تاريخ الإسلام ومبتدؤه؛ فليس في تاريخنا أشرف ولا أعظم من الحقبة التي عاشها رسولنا الأعظم ﷺ ففهم هذه السيرة واستيعابها والاستفادة منها بجعلها منطلق حركة التاريخ الإسلامي هو الأساس الأعظم للمؤرخ بعد فهمه لكتاب الله - تعالى - كما مر آنفًا.

ولا عجب إذن أن بدأ الصحابة تأريخ الإسلام بهجرة رسول الله ﷺ لما فهموا من أهمية لها لا يعادها أي حدث آخر.

(١) أستاذ مصرى معروف، وداعية حصيف. شارك في المقاومة ضد الإنجليز في فلسطين ومصر، وكان رئيساً لاتحاد الطلاب بكلية أصول الدين. انتقل من مصر إلى المملكة سنة ١٩٥٣/١٣٧٤ ليدرس في كلية الشريعة في الرياض. وكان مديرًا للمعهد العالي للقضاء. ويقى في المملكة إلى أن توفي بها - رحمه الله تعالى - سنة ١٤٢٠/١٩٩٩. له عدد من المصنفات النافعة. انظر ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

(٢) ولن أراد الاستزادة والتنويع فليقرأ: «مدخل إلى القرآن الكريم» للدكتور محمد محمد أبو شهبة، رحمه الله، وكتاب الدكتور صبحي الصالح رحمه الله تعالى: «مباحث في علوم القرآن»، وكتاب الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، فكل كتاب من هذه حوى شيئاً ليس في الآخر، والله أعلم.

وسيأتي – إن شاء الله تعالى – قريباً الضوابط الشرعية لقبول مرويات السيرة النبوية.

ومن الكتب المهمة في سيرة نبينا محمد ﷺ كتاب سيرة ابن هشام^(١)، وكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم^(٢).

جـ) فهم الأحاديث التي أخبرت عن الفيبي:

من المهم الاطلاع على الأحاديث التي أخبرت بأمور غيبة وقعت بعد وفاة النبي ﷺ أو ستقع في آخر الزمان ومعرفة سندها، وقوتها من ضعفها، وذلك نحو أحاديث تملكبني أمية وذمهم، وأحاديث افتراق الأمة ثلاثة وسبعين فرقة، وأحاديث أشراط الساعة وأحداث آخر الزمان، وأحاديث ظهور الدجالين المتبيئين.

وبعد فهم هذه الأحاديث والوقوف على كلام أهل العلم فيها قد يتحقق لابد من تكوين رأي حولها يكون موجهاً لصاحبه أثناء القراءة والدراسة حتى لا يهون ولا يهول، ولا يعظم الحقير، ولا يصغر العظيم، وهذه الأحاديث وأمثالها لها أثر عظيم في أحداث التاريخ الإسلامي، ولذلك قلت إنه

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب السدوسي وقيل الحميري، المعافري، البصري، أبو محمد العلامة النحوي الأخباري، نزيل مصر، هذهب السيرة النبوية. توفي سنة ٢١٨هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٤٢٨/١٠ وما بعدها.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الْزَّرْعِي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١، وكان جريء الجنان، واسع العلم، غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك. توفي سنة ٧٥١ بدمشق رحمه الله تعالى. انظر: «الدرر الكامنة»: ٤/٢١-٢٣.

لابد من فهمها فهما جيداً.

د) الفهم العام لطرائق البرج والتعديل:

لا غنى لمريض التخصص في علم التاريخ من معرفة طرائق البرج والتعديل عند المحدثين، - بدون تفصيل إنما ذلك للمختصين - وفهم أقسام الأحاديث والأثار من حيث الصحة والضعف والوضع، وفهم قواعد التخريج والتحقيق، لأن ذلك كلّه يحتاجه المؤرخ الذي ينقب في بطون الكتب القديمة ويستخرج منها ما يريد، والمطلوب هو الفهم العام لتلك القواعد على وجه يضبط بها المؤرخ قراءته وبحثه، أما التفاصيل الدقيقة لتلك العلوم إنما هي للمتخصصين، وسيطير أكثر غير المتخصصين هو النقل عن الأئمة السابقين، ولذلك اشترطت للمؤرخ الفهم العام لتلك العلوم حتى يحسن النقل عن الأئمة، أما التخصص فأمره يطول، ولا يطالبه كل أحد.

وهناك كتابان ميسران في هذه العلوم، وهما: «أصول التخريج ودراسة الأسانيد»، وكتاب «تيسير مصطلح الحديث» وكلّاهما للدكتور محمود الطحان، حفظه الله.

هـ) الفهم العام لقواعد الشريعة الإسلامية، والحقيقة الصحيحة:

وهذا أمر لا بد منه لكل مريض للتخصص في التاريخ، ويبدون ذلك يقع في أخطاء كبيرة لا تقبل، فهذا أحد المؤرخين المشهورين^(١) يكتب

(١) هو الأستاذ محمد عبدالله عنان.

فصلًا بعنوان «أساطير دينية توجه سير التاريخ» في كتابه «مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام»، فجعل من الم Heidi أسطورة، وهو عند أهل السنة والجماعة حقيقة متوترة، وجعل من نزول المسيح -عليه الصلاة والسلام- أسطورة!! وهو عند المسلمين حقيقة متوترة^(١)، والذي أوقعه في هذا هو جهله بالقواعد الشرعية والعقدية، وإنما لله وإنما إليه راجعون.

ولا يقتصر الأمر على الأستاذ فقط فهناك جملة من المؤرخين أنكروا ما أنكره الأستاذ وأنكروا غيره، مما يستثنى إنكاره ويُستبع.

و) **فهم القواعد العامة لعقائد الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة:**

وهذه الفرق ألفت تواريХ مهمـة ومنها الشيعة والخوارج والمعزلة، فلا بد قبل الولوج في كتبـهم أو النقل عنـهم أن تفهم قواعدهـم حتى لا يخرج المؤرخ بنتائج خاطئـة أو مخالفـة لأهلـ السنة والـجـمـاعة.

ويكفي في هذا الباب -إن شاء الله- لغير المتخصصين كتاب «الأديان والفرق والمذاهب» الذي نشرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ز) معرفة أطوار التصوف، وما هو المقبول منه وما هو المبتدع المردود:
لتتصوف أطوار ثلاثة:

الطور الأول: وهو أقرب إلى الخير والسنة، وهو تصوف بعض

(١) انظر «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٩٥

السلف كالمجيد^(١) - رحمه الله تعالى - .

والتطور الثاني: أخذ فيه التصوف بالابتعاد عن السنة شيئاً ما، وعزم أثناء الافتراق بين التصوف والسنّة لكنه ظل في الجملة مقبولاً داخلاً تحت مظلة الإسلام، وهذا الطور بدأ من ذئن نهاية القرن الثالث واستمر إلى بدايات القرن العاشر مهيمناً على الحركة الصوفية.

أما **التطور الثالث** فبدأ بالهيمنة على التصوف منذ نهایات القرن العاشر، وفيه كثير من قواعد التصوف الفاسدة مثل الحلول والاتحاد، والقول بأن الله أوكل للغوث والأقطاب التصرف في الكون وهم موتى في قبورهم، والاستغاثة بالأموات، هذه الأقوال وغيرها اكتسحت في كتب التوارييخ - خاصة كتب التراجم - بعد القرن التاسع المجري كثرة لافته للنظر، فلابد للمتصدي لهذه الكتب أن يعرف أطوار التصوف هذه وشطحاته، وأقوال أئمة التصوف المردود منها والمقبول حتى لا ينقل للأجيال أقوالاً وأعمالاً سادت ثم بادت، فيتحمل وزر إحيائها ونشرها في الناس.

ح) ضبط ما يُروى وما يُعطى :

ينبغي أن يكون لدى المؤرخ موازین شرعية وعلقية صحيحة

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه، وأنفق العلم، ورزق الذكاء. وكان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنّة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. توفي سنة ٢٩٨ رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٦٦-٧٧.

تضبط ما ينبغي له أن يخرج إلى الناس وما ينبغي أن يكون جبيس الدفاتر ويطون الكتب، فمما ينبغي أن يطول حبسه الآني:

١) أخبار الفتنة التي جرت بين الصحابة -رضي الله عنهم- والخلافات التي نشأت بينهم، وما صدر عنهم من أفعال وأقوال مرجوحة، وقد حرص أئمة السلف على عدم الكلام في هذه الفتنة، بل جعلوا الكَفَّ عما شجر بين الصحابة من الفتنة من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وأثبتو ذلك في الكتب المبينة للعقيدة الصحيحة، وحسناً ما فعلوه.

ولئن قيل اليوم إن نشر أخبار هذه الفتنة أمر مهم خاصة بعد أن تجرا الشيعة الروافض على سب أصحاب رسول الله ﷺ وانتقادهم ﷺ، فأقول: إن المسألة لابد أن تقدر بقدره، وأن ينظر المؤرخ في الخبر هل يُطوى ولا يُروى ولا ينشر، أو أنه يُنشر بقدر وفي بعض الأماكن دون بعض، ولبعض الناس دون بعضهم الآخر، أما تعميم الحديث عما شجر بين أولئك الصفوة -رضي الله عنهم- فهذا منهج غير مقبول، ويترك في نفوس الناشئة آثاراً سيئة.

٢) أخبار المجون والإباحة التي انتشرت في كثير من كتب التاريخ خاصة المتأخرة منها، وكذلك التغزل بالنساء والغلمان، والخمريات، وما شابه ذلك من مزالق الفساد التي تساهل في ذكرها كثير من المؤرخين -خاصة المتأخرین- في كتبهم حتى صارت لها شيئاً ومنعت من كمال الاستفادة منها، فمن ذا الذي سيأتي لأهله وولده بهذه الكتب

ليقرءوها وفيها ما فيها مما يندى له جبين الفضيلة؟^(١)

٣) بعض ما ورد في كتب التراجم من الأمور التي ينبغي طيّها مثل السباب والشتائم، وما فيها من بعض مظاهر الأخلاق الفاسدة، فحجب مثل هذا وطيه مطلوب إلا إذا كان في إيراده فائدة للقراء، فيورده المؤرخ مقترباً بالتحذير منه.^(٢)

* * *

(١) انظر كلامي في هذه المسألة في مقدمة اختصاصي لكتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي - رحمه الله تعالى - وهو من ملأ كتابه بالأخبار الماجنة.

(٢) من الأمثلة الواضحة على الكتب التاريخية المليئة بالهمز واللمز وعيب الناس كتاب «الضوء الالمع لأهل القرن التاسع» للحافظ السخاوي (ت ٩٠٢) - رحمه الله تعالى وغفر له - فقد ملأه بما لا فائدة في ذكره من معایب الناس ، وانظر - إن شئت - تعليق الشوكاني ، رحمه الله تعالى ، على هذا الصنف في كتابه الماتع «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» في ترجمة السخاوي.



المبحث الثالث
التأهيل الشعافي



المبحث الثالث: التأهيل الثقافي

لا بد للمتصدي لدراسة التاريخ أن يكون واسع الثقافة في جوانب محددة، وذلك حتى يحسن الاطلاع على ما يريد ومن ثم يحسن الانقاء والعرض، فمن ذلك:

١- الاطلاع على أحوال الأمم قديماً، وما جرى عليها، وكيف سادت حضارتها ثم بادت، والحكم على تلك الحضارات بمقاييس شرعي صحيح. وينبغي -بعد ذلك- أن يطلع على أسس الحضارة الإسلامية وجوانب الجدّة فيها، وصلة ذلك بالتاريخ الإسلامي واضحة بيّنة. ومن الكتب التي تناولت هذا الأمر فاحسنت:

* كتاب «من روائع حضارتنا» للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي^(١)، رحمه الله تعالى.

(١) هو مصطفى بن حسني السباعي، أبو حسان. ولد بحمص -من سوريا- سنة ١٣٣٣. عالم إسلامي مجاهد، من خطباء الكتاب. تعلم في حصن وفي القاهرة في الأزهر. اعتقله الإنجليز في مصر وفلسطين ستة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنته في لبنان ٣٠ شهرًا. كان على رأس كتيبة من الإخوان تدافع عن بيت المقدس سنة ١٣٦٧. أحرز شهادة الدكتوراه من الأزهر، وصار أستاذًا في كلية الحقوق ومراقباً عاماً لجامعة الإخوان المسلمين، وعميداً لكلية الشريعة في دمشق، وأنشأ مجلة «حضارة الإسلام». أصيب بشلل نصفي. ألغى واحدى وعشرين رسالة وكتاباً، وتوفي في دمشق سنة ١٣٨٤/١٩٦٤ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٧/٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

- * كتاب «تفسير التاريخ علم إسلامي» للدكتور عبدالحليم عويس^(١): الفصل السابع إلى الثالث عشر.
- * وكتاب «شمس الله تَطْلُع على الغرب» للمستشرقة الألمانية زنغريد هونكه^(٢).
- * وكتاب «حضارة العرب» لغوستاف لوبيون^(٣)، وهو على جودته فيه مأخذ ودس.
- * وكتاب «الإسلام والحضارة العربية» للأستاذ محمد كُرْد علي^(٤).

(١) أستاذ مؤرخ مصري معاصر، له كتب مهمة، توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٤٣٣.

(٢) مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية. ولدت سنة ١٩١٣ حصلت على الدكتوراه سنة ١٩٤١. نظرتها للإسلام معتدلة، قيل: إنها أسلمت قبل عام من وفاتها التي كانت سنة ١٩٩٩. انظر ترجمتها في ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

(٣) طبيب ومؤرخ فرنسي. عُني بالحضارة الشرقية. له عدة مصنفات، وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد من يعدون أنهم أنصروا الحضارة الإسلامية على مأخذ في كتاباته. ولد سنة ١٨٤١ وتوفي سنة ١٩٣١. المصدر السابق.

(٤) محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرْد علي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسس، وصاحب مجلة «المقتبس» والمؤلفات الكثيرة، من كبار الكتاب. ولد سنة ١٢٩٣ بدمشق، وأصله من أكراد السليمانية - من أعمال الموصل - وتعلم في المدرسة الرشدية، وأقبل على المطالعة والدوروس الخاصة. وأحسن التركية والفرنسية وتذوق الفارسية، وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري، وتولى رئاسة تحرير عدد من المجالات والجرائد. هاجر إلى مصر ويقي فيها سنتين، واتّهم مرات بمعاداة جمعية الاتحاد والترقي وكاد يُقتل. ولـي وزارة المعارف مرتين في عهد الاحتلال الفرنسي لسوريا. وكان من أصفى الناس سريراً وأطليهم لمن أحبهم عشرة وأحفظهم ودّاً. توفي بدمشق سنة ١٣٧٢ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام» ٦/٢٠٢-٢٠٣.

- * وكتاب «حضارة الإسلام» لخودا بخش^(١)، وهو بالفارسية، وقد ترجم.
- * وكتاب «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» لأدم ميتز^(٢)، وقد ترجم، وهو كتاب جيد، وفيه بعض المأخذ العلمية.

٢- تكوين العص المنشد:

وهذا لا بد منه لكل متصدر للتاريخ، لكنه لن يتحقق على وجه حسن الحال من الغرور العلمي وتشبع المرء بما لم يُعط إلا بعد قراءة مطولة للعلوم والفنون، والوقوف على مناهج النقد القديمة والحديثة، ولن يتحقق كذلك إلا بعد الغوص العميق في كتابات المؤرخين القدماء والمحدثين، ومعرفة مواطن التزلات، فإن حصل هذا مع ما سبق أن أورده وما سأورده فأرجو أن يكون إذنا لصاحب بالقراءة النقدية الفاحصة، أما المجموع على الكتب والمؤلفين بدعوى النقد وتلقيح الماجم حصيلة توصله لهذا الصنيع فهو عبث وتطاول، وقد يحصل قيل: من قلل علمه كثُر نقه.

(١) ما عرفته من ترجمته أنه من بلدة بتنا في الهند، وأبواه محمد بخش مؤسس مكتبة خدا بخش الشرقية العامة في بتنا التي تضم أكثر من عشرين ألف مخطوط منها حوالي ٩ الآف باللغة العربية، وابنه خدا بخش هو الذي ارتقى بالمكتبة، ولما توفي انتقلت ملكية المكتبة إلى الدولة؛ لأنها لم يبيّن من هذه العائلة أحد. انظر «ويكيسيديا» على شبكة الإنترنت.

(٢) مستشرق سويسري ألماني. كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا. توفي سنة ١٩١٧ / ١٣٣٥ . انظر «الأعلام»: ٢٨٢ / ١

هذا ومن أهم ما ينظر فيه المؤرخ قبل إيراد حديث ما هو التالي:

أولاً: صحة الخبر:

فإذا كان الخبر متعلقاً بأحكام شرعية أو زمن الفتنة بين الصدر الأول، أو مسائل عقدية، فلا بد أن يكون هذا الخبر التاريخي موثقاً صحيحاً على موازين أهل الحديث في تصحيحهم الأخبار، ولا يقبل فيه الخبر الضعيف^(١).

ثانياً: المبالغة:

قد دأب جماعات من المؤرخين على المبالغة في إيراد الخبر، والمبالغة تتعلق بالأعداد أو بالصفات أو بتضخيم المزايا أو النقائص، وهذه المبالغة تعرف وبالتالي:

- أ- حكم مؤرخ ثقة على مؤرخ آخر بأنه مبالغ مع إيراده الشواهد على ذلك ، كما حكم الإمام الذهبي^(٢) على سبط ابن الجوزي^(٣) بأنه مبالغ، ويعبّر الذهبي: مجازف، وأورد بعض الشواهد على هذا.
- ب- الحس الطبيعي الذي يملكه من قرأ كثيراً من التاريخ، وكان

(١) انظر في تفصيل هذا البحث الرابع القadam – إن شاء الله تعالى – النقطة الرابعة.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ شمس الدين أبو عبدالله التركماني الذهبي محدث عصره. ولد سنة ٦٧٣، واعتنى بطلب الحديث وارتحل من أجله منذ كان عمره ١٨ سنة، وألف مصنفات جامعة نافعة. توفي سنة ٧٤٨ بعد أن أضرَّ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» ٩/١٠٠-١٢٣.

(٣) هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله التركي العوني الهبري البغدادي الحنفي سبط الإمام ابن الجوزي نزيل دمشق. ولد سنة ٥٨١ وتوفي بها سنة ٦٥٤. انظر سير أعلام النبلاء: ٢٢٣/٢٩٦.

يملك الأدوات الأساسية من الدراسات الشرعية الأولية، وكان لديه حسن النظر، وجودة الحكم على الأمور، من كان كذلك كان قادرًا على تمييز المبالغات والمجازفات بسهولة.

ج- المقارنة بين الأخبار في مصادر التاريخ المتعددة، فإن هذا يفيد في معرفة المبالغة والمجازفة، وتقدير الأمور تقديرًا حسناً، وردها إلى أقرب الأوضاع إلى الصحة.

ثالثاً: نقد آراء المؤرخين:

بعض المؤرخين يورد رأيه في الحادثة التاريخية، ويبيّن وجهة نظره فيما يسوقه من أحداث، فيصبّب ويخطئ في صنيعه هذا، فلا بد لمن يريد أن يكون مؤرخاً أن يتعلم كيفية تقويم رأي المؤرخ ووجهة نظره، وهذا يكون بمحاكمة رأيه هذا إلى الثوابت الشرعية، وإلى الضوابط التي تحكم حياة الناس من كل جوانبها، فإن صنع ذلك لم يفته غالباً الحكم الجيد على المؤرخ وما يورده من آراء.

٣- فهم مؤامرات أعداء الإسلام ضد تاريخنا:

وهي بالإضافة إلى ما ذكرته آنفًا تبدو واضحة في محاولات الغرب - وعلى رأسه أمريكا - إعادة صياغة مناهج التاريخ الإسلامي، لتطمس الواقع الجليلة العظيمة، وتزور سير الأبطال أو تخفيها، وتشوه البواعث والتائج، وتحتلز التاريخ اختزلاً مخللاً لا يُقيّد له أثراً ولا يذكر فيه عظة وعبرة إلى آخر هذه المؤامرات الآثمة التي شهدتها بلدان العالم الإسلامي، خاصة بعد أحداث أمريكا المشئومة سنة ١٤٢١/٢٠٠١.

وحذار من الانسياق وراء تشويه الكافرين من كنسين ومستشرين لتاريخنا، وقد ألفوا في ذلك مئات الكتب، وليرأ - للحذر من ذلك - كتاب الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى: «الاستشراق والمستشرقون».

وكتاب الأستاذ محمد قطب، حفظه الله^(١): «كيف نقرأ التاريخ الإسلامي».

وكتاب الأستاذ الدكتور عبدالعظيم الديب، رحمه الله تعالى^(٢): «المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي».

٤- فهم المنهج الغربي في التلقي والبحث في العلوم الإنسانية:
لابد للباحث - سواء في مجال التاريخ أو غيره - أن يفهم المنهج الغربي في التلقي والبحث، وهذا يتجلّى بوضوح في ثلاثة أمور:
الأول: الانفصال التام عن الله تعالى:

فهو مقطوع الصلة بالله تعالى وبكل غيب، فالقوم ارتسوا الحياة الدنيا وأعرضوا عن الآخرة، والعياذ بالله، ولذلك جاءت نتائج بحثهم في العلوم الإنسانية مليئة بالتصورات الخاطئة والأفكار الباطلة - على

(١) أخ شقيق أصغر للأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - ولد سنة ١٣٣٧ / ٢٦ أبريل ١٩١٩ ببلدة موشا، في محافظة أسيوط . وهو من ابتي في سجون العبد الخاسر ، وخرج فانتقل إلى مكة المكرمة ودرس فيها ثم تقاعد ، وهو الآن في مكة المكرمة ، حفظه الله تعالى. له مصنفات مهمة ، وأفكار كان لها أثر على الحركة الإسلامية المعاصرة.

(٢) أستاذ عالم مصرى عاش في قطر مدة طويلة. توفي سنة ١٤٣١ / ٢٠١٠ ، ودفن في قطر رحمه الله تعالى ، وله مؤلفات نافعة. انظر ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

جودة في بعض جوانبها إنصافاً للقوم - فإذا فهم الباحث هذا استطاع أن يتتجنب مزالقهم في التفكير والتصور والتائج، قال محمد أسد^(١):

ما تحرر العقل الأوروبي من عبوديته للكنيسة تخطى في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك الحدود، ووطّد عزمه تدريجياً على العداء لكل شكل من أشكال السلطان الروحي على الإنسان، ومن ثانياً هذا الخوف الباطن، ولثلاً تعود تلك القوى التي تدعى السلطان الروحي أقامت أوروبا نفسها زعيماً لكل ما هو ضد الدين مبدئياً وعملياً، لقد رجعت أوروبا إلى إرثها الروماني، وأضيف إلى هذا الإرث الروماني الوثني المادي عنصر مادي جديد فأخذوا يعبدون المال كما عبد بنو إسرائيل العجل^(٢).

ثانياً: الاعتماد على التقويم الشخصي في كثير من الأحيان وضعف المنهج العلمي:

وهذا أمر يظهر بوضوح في دراسات المستشرقين التاريخية، فتراهم ينسجون قصصاً معتمدة على أوهام وخيالات وظن باطل، والمصيبة كل المصيبة أنهم يرون أن ما يأتون به هو الحق الجدير بالإتباع، وما عداه هو الباطل!!

(١) اسمه ليوبولد فايس سابقاً عندما كان يدين باليهودية. ولد سنة ١٩٠٠ في النمسا. وتوفي في إسبانيا سنة ١٩٩٢ . كاتب وصحفي ومفكر، وناقد اجتماعي، ومصلح، وديبلوماسي، ورحالة. درس الفلسفة في جامعة فيينا، ومنح الجنسية الباكستانية وصار مبعوث باكستان في الأمم المتحدة، وطاف العالم ثم استقر في إسبانيا وتوفي بها رحمه الله تعالى. له مصنفات قليلة نافعة. انظر ترجمته في ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١٣١.

قال الدكتور البيوطني:

«والمنهج الغربي في البحث خالٍ إلى الآن من أي ميزان موضوعي لتحقيق كل ما يتعلق بالرواية وصحة الخبر والنقل، وما يسمونه بالمنهج الاستردادي أو منهج التوسم عمدته الأولى ما قد يتمتع به الباحث من عمق الملاحظة ودقة الوجdan واتساع دائرة الخيال، فالآداة التي يستخدمها الباحث هي ملاحظته ووجدانه وخياله، وكل ما يعثر عليه من آثار وأحداث ووثائق».

وكيفية البحث عندهم هي أن يعكّف الباحث على ما تجمع لديه من هذه الآثار أو الأحداث، فيقترح فيها الملاحظة والوجدان والخيال ليستخرج من وراء ذلك ما قد يطمئن إليه من مبادئ وأحكام وواقع...»^(١).

وهذان الأمران آنفاً الذكر يبيان بوضوح أن المنهج الغربي غير صالح للاعتماد منهجاً للبحث والدراسة والتقييب، فهو قد انقطع عن تراث النبوة، وفي الوقت نفسه أطلق العنان للخيال والحدس والظن، وهو ما نعاني منه في الدراسات الاستشرافية.

الأمر الثالث: النظر إلى تراث الآخرين ودراساتهم نظرة دونية:

وهذا أمر مؤثر تماماً على المنهج الغربي ودقته وصلاحيته، وهو «أن الأوروبي بطبيعته ميال إلى اعتبار أوروبا هي محور العالم، فهي نقطة الرصد في نظره، ومن هذه الزاوية ينظر إلى الحياة والناس والأحداث، ومن هنا تتخذ في

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي: ١٣٢-١٣١ نقلًا عن «كثير البقينيات الكونية»: ٤٢.

نظره أشكالاً معينة ليس من يملك الجزم بأنها أصح الأشكال، وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسرها ويحكم عليها كما يراها، وإذا كان بدهياً أن أوروبا لم تكن هي محور العالم في كل عصور التاريخ، وكان الأوروبي لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضي أدركتنا مدى انحراف الزاوية التي ينظر بها الأوروبي للحياة الإسلامية التاريخية، ومدى خطأ الرؤيا التي يضطر إليها، ومدى خطأ التفسير والآحكام الناشئة من هذه الرؤية المعينة...»^(١).

وها هو المستشرق الروسي بارتولد^(٢) يقول في هذا الصدد: «إن الأسس المتبعة في طرق البحث التاريخية تجد صعوبة في إزالة الخرافة التي تعتبر أوروبا في كل العصور تحمل الأهمية العالمية سياسياً وحضارياً كالتي تتمتع بها الآن»^(٣).

إن هناك فئة من المستشرقين «تحمل فكراً لا يؤمن إلا بالقهر أو السيادة والتمييز العرقي والهيمنة الثقافية دون الاعتراف بالتبادل الفكري أو الأخذ والعطاء بين الحضارات المتنوعة، وقد بدأ ذلك واضحاً في تفاسيرهم للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية... وكانت حصيلة التاريخ الإسلامي من هذه الفلسفة المادية: مجموعة من

(١) المصدر السابق نقاً عن كتاب الأستاذ سيد «في التاريخ فكرة ومنهاج»: ٤٠.

(٢) فالسيي فلاديميروفتش بارتولد . مستشرق روسي بارز ولا سيما في مجالات تاريخ الحضارة الإسلامية. ولد سنة ١٢٨٦/١٨٦٩ ، وتوفي سنة ١٣٤٩/١٩٣٠ . انظر «ويكيبيديا» على شبكة الانترنت.

(٣) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٤٩ .

الأحكام المسبقة الجامدة تطبق في قسرية بالغة... وقراءة تعتمد الانتخاب المقصود للنصوص، أو تحويلها معانٍ لا تتحملها، أو التشكيك في صحة ما صح منها، أو الاتكاء على الضعف الساقط والشاذ من الأخبار مما يجافي الروح العلمية والنزاهة الموضوعية والحياد الفكري.

ويجب ألا ننسى -ونحن نتكلّم عن هذه الفئة من المستشرين- العامل التاريخي بكل تراكماته الثقافية المتحيز ضد التاريخ العربي الإسلامي والمحفوظة في الإرث الأوروبي عبر العصور، فالمستشار ابن بيته، ولابد له أن يتأثر بكل ما كُتب في أوروبا عن الإسلام والمسلمين، وفي هذا الشأن يعترف أحد المستشرين المعاصرين قائلاً:

«ولا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الهوامش المرصوصة بالأبحاث العلمية» إن هذه الحقيقة هي التي تفسر هفوات بعض المستشرين الذين عُرِفوا بالموضوعية والتجرد... وتبقى العملية النقدية لكتابات هذه الفئة من المستشرين مهمة وضرورية...^(١).

وبهذا كله نزداد يقيناً بأن منهج أولئك ليس صالحًا لنا على إطلاقه، وأن في منهجهما الغنية والكافية، وفي الوقت نفسه يمكن لنا أن نستفيد من بعض ما عندهم من مناهج بحثية مفيدة، وهذا هو الموضوع القادر إن شاء الله.

(١) «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٥٠.

٥- الاستفادة من المناهج البحوثية المعاصرة:

هناك مناهج للبحث والدراسة برزت في الساحة العلمية منذ قرنين تقريباً، وفي تلك المناهج فوائد كبيرة، كما أنها تناقص معروفة لا تخفي على الدارسين، وقد بينها أهل العلم بالتفصيل في مواضع كثيرة، وهي المناهج التي حمل لواءها المستشرقون، على ما عند أكثرهم من تنصب وعدم إنصاف، ثم إنه في نصف القرن الماضي برب علماً مسلمون عظماء نصحوا هذه المناهج بعد أن نظروا فيها بعين الانصاف، وأبقوا منها ما رأوه موافقاً للشرع والواقع، وحذفوا منها ما ليس كذلك، فصارت هذه المناهج أقربَ شيء إلى الحق والخير، والله الحمد والمنة، فعلى الدارسين لعلم التاريخ ومريدي التصدر فيه والتخصص أن يطلعوا على هذه المناهج بالتفصيل فيما كتبه روادها والقائمون عليها في عالمنا الإسلامي^(١).

وليس مرادي تزكية هذه المناهج تزكية عامة تامة بل فيها ما ينكر ويترك لكن هذا حكم أغلبي يصدق على المجموع وليس الجميع، والله أعلم.

(١) فلينظر في هذا كتاباً للأستاذ عبد السلام هارون ، و.د. محمود محمد الطناحي ، وغيرهما من أساطين البحث العلمي. وقد شارك علماء كثر في إرساء معالم منهجه البحث التاريجي خاصة ، من هؤلاء الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر، خاصة في كتابه «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، وكتابه «أبطال وأسوار» والأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، والأستاذ الداعية محمد قطب، والشيخ جمال عبدالهادي، ويشارك هؤلاء جمع من الأساتذة الأفضل منهم الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ أبو الحسن الندوى، والشيخ محمد الغزالى، والأستاذ سيد قطب، والأستاذ عب الدين الخطيب، والأستاذ محمد عبدالله عنان، والدكتور حسين مؤنس، والأستاذ شكبip أرسلان، والأستاذ محمود شاكر ياسين والمودودي وخلق كثير غيرهم.

٦- معرفة كيفية قراءة المخطوطات:

وهذا من يريد من المؤرخين التصدّي لتحقيق المخطوطات التاريخية وإخراجها إلى النور، وهذا لا بد له من دراسة علم تحقيق المخطوطات لدى خبير متّمسّ على قراءة المخطوطات وتحقيقها، ويغير ذلك سيكون حاطب ليل وينجح بخطبٍ عشواه.

٧- حُسْنُ الأسلوب وجِزَّالُهُ العبارات:

ينبغي لكل من أراد التصدّي للكتابة في التاريخ أن يُحسّن ما استطاع من لغته، وأن يرتقي بأسلوبه الكتافي، وأن يأتي بأحسن ما يستطيع من العبارات التي تُكبس ما يكتبه جزالة ورصانة وحلوة.

وسبيله إلى ذلك أن يكثّر من القراءة في الكتب التاريخية التي صنفت بلغة راقية جليلة، وبعبارات جميلة، وخاصة كتب السلف الذين لم تُشبّ لهم شائبة من لحن أو عجمة أو ركاكة أسلوب أو غثاثة عبارة؛ وذلك نحو «تاريخ الأمم والرسل والملوك» للإمام الطبرى^(١) - على ما في الكتاب من مأخذ سأينها في مكان غير هذا إن شاء الله تعالى -.

وكتاب «سيرة ابن هشام».

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، ثم استوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، رحمه الله تعالى، له عدة كتب نافعة، وكان مجتهداً لا يقلد أحداً، فصيحًا. انظر: «الأعلام»: ٦٩/٦.

وكتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي الأديب^(١) وقد جَوَّد عبارته فيه، وهو كتاب حسن النظم، جار على نهج السلف وأساليبهم فيما يوردونه من طرائق التصنيف.

وغير ذلك من الكتب النافعة في باب اللغة والأدب.

أما الكتب الحديثة فإن من خيرَ مَن كتب بأسلوب جميل وطرائق صحيحة الأستاذ محمود شاكر المصري^(٢)، والأستاذ سيد قطب^(٣).

(١) هو خليل بن أبيك بن عبد الله، صلاح الدين الصفدي، أديب بارع، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد بفلسطين سنة ٦٩٦ هـ وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها عام ٧٦٤ هـ. كتب الخط الجديد، وقال الشعر الحسن، وكان محبياً إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المودة، له زهاء مائتي كتاب في الترجم والتاريخ واللغة والأدب وغيرها، رحمه الله تعالى. انظر: «الأخبار العليات من الوافي بالوفيات»: ١٠١.

(٢) أديب لغوی، محقق باحث. ولد بالإسكندرية سنة ١٣٢٧ / ١٩٠٩، سجن أيام عبدالناصر، وتعرض لبلاء آخر بمعارضته طه حسين لأرائه الانحرافية عن الإسلام. حصل على عدة جوائز مصرية وعالمية. وله مصنفات نافعة وشعر جيد. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٤١٨ / ١٩٩٧. انظر «إمام الأعلام»: ٢٨٢.

(٣) سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد سنة ١٣٢٤ بقرية «موشا» في أسيوط. تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي «الرسالة» و«الثقافة» وعُين مدرساً للغربية فموظفاً في ديوان وزارة المعارف ثم مراقباً فنياً بالوزارة. أوفد في بعثة للدراسة برامج التعليم إلى أمريكا ثلاث سنوات. انضم إلى الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدة لهم وسجن معهم فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأُعدم رحمه الله تعالى سنة ١٣٨٧، له مصنفات جليلة رائعة، وفي بعضها قليل من المؤاخذات بسبب الشأة الأدبية السابقة. وما أحسن كلمة الأستاذ علال الفاسي رحمه الله تعالى لما حصلت نكبة ١٣٨٧ هـ: ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب. وانظر «الأعلام»: ١٤٧، ١٤٨.

والأستاذ عباس العقاد^(١)، وطه حسين^(٢) على أن عليه مأخذ في كثير مما يورده.

ولابد من يريد أن يكون مؤرخاً أن يضبط قواعد اللغة - المشهورة على الأقل - فلا يلحن اللحن الجلي الفاضح، ولا يختلط الخطأ الظاهر اللاائح.

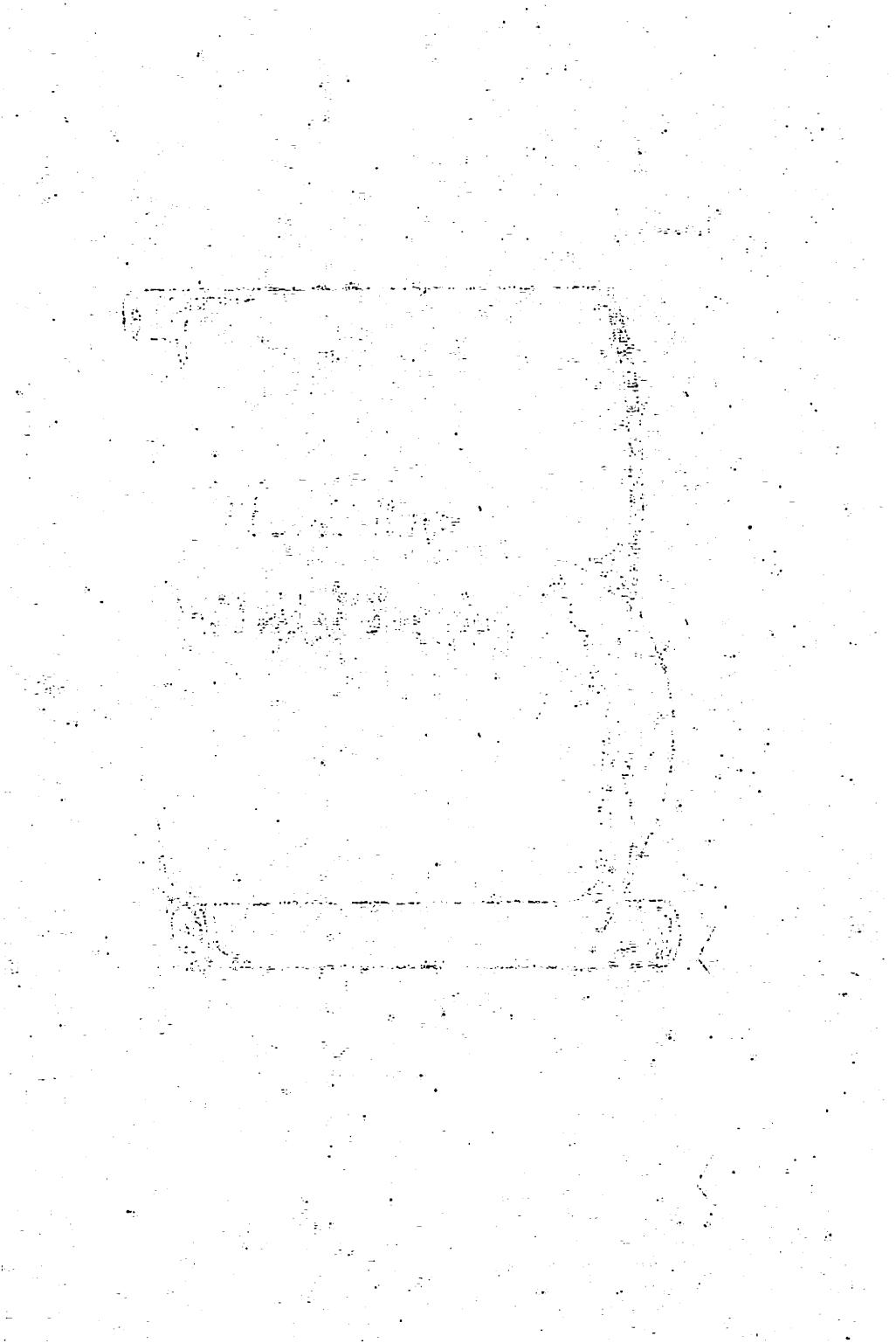
- وهذا المطلوب إن حقيقه المصدي لكتب التاريخ فحرفي به إذا قرأ أن يفهم المراد، وإن كتب أن يأتي بالكلام على وجهه ويؤثر بكتابته في القراء، وكم هو الفارق بين من يكتب متاثراً بلكتنة وعجمة أو متلبساً بضعف لغة وركاكة أسلوب وبين من يكتب بأسلوب مشرق جميل يُغرى القراء به على متابعة ما يكتبه.

(١) عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد. إمام في الأدب، مصرى من المكرثين كتابة وتصنيفًا مع الإبداع. أصله من دمياط. ولد عام ١٨٨٩/١٣٠٦ في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية، وشغف بالطالعة، وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما يكتبه. تعلم الانجليزية في صباح وأجادها ثم ألم بالألمانية والفرنسية، وظل اسمه لاماً نصف قرن أخرج فيها ثلاثة وثمانين كتاباً في أنواع مختلفة. توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣/١٩٦٤. انظر «الأعلام» ٢٦٦/٣ : ٢٦٧. وفي بعض كتاباته وتصرّفاته مأخذ ليس هذا مكان لإيرادها.

(٢) طه بن حسين بن علي. ولد سنة ١٣٠٧/١٩٨٠ بمغاغة في محافظة المنيا في الصعيد. أصيب بالجلدري في الثالثة من عمره فكشف بصره. درس في الأزهر ثم الجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها. ثم سافر إلى باريس في بعثة وتنزح في السوربون سنة ١٩١٨. عين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم عميداً لكلية وزيراً للمعارف. له مصنفات عديدة في بعضها كفر واضح وتعذر على أصول الإسلام، ورد عليه كثيرون. توفي سنة ١٣٩٣/١٩٧٣. وانظر ترجمته في «الأعلام»: ٢٣٢، ٢٣١/٣.

المبحث الرابع

التأهيل التاريخي



المبحث الرابع: التأهيل التاريخي

الذى يحسن بمريد التصدر في التاريخ ودراساته ومناهجه أن يدرس دراسة نظامية في كلية للتاريخ في جامعة من الجامعات، فمن عَسْر عليه ذلك فليتسب إلى جامعة إن استطاع (دراسة منزلية)، فإن لم يستطع فعليه بجلب مناهج الكلية ليدرسها دراسة ذاتية.

فإن عَسْر عليه كل ذلك فينبغي أن يطلع على الآتي ويستوعبه تصوّراً وفهماً:

١- فهم العلاقة بين علم التاريخ وغيره من العلوم:

إن للتاريخ علاقة وثيقة بعده علوم منها^(١):

* علم التربية:

يستخدمن التاريخ في العلوم التربوية استخداماً مباشراً لما فيه من عناصر توجيه المجتمع للفضيلة، وإبعاده عن الرذيلة، ونَصْب القدوّات للشباب والشابات، والاعتبار والاتعاظ بما فيه من حوادث لا تُحصى، وواقع لا تستقصى.

(١) وقد ذكرت من قبل علاقة علم التاريخ بالكتاب والسنة فلا أعيد ذكر ذلك هنا.

* **علم السياسة:**

فالأحداث السياسية لها تأثير مباشر على حركة التاريخ، وقد عظم هذا التأثير في هذا الزمان كما هو مشاهد ومحظوظ.

* **علم الاقتصاد:**

وهذا - أيضًا - له أثر لا ينكر على علم التاريخ؛ فالشعوب التي تمتلك الشروء والقدرة الاقتصادية تُسيّر شعوبًا كثيرة وتغير حركة التاريخ تغييرًا واضحًا، ومعرفة التحولات الاقتصادية العظمى في العالم تعين المؤرخ على فهم الأحداث التي يسجلها، لكن لا ينبغي المغالاة في هذا حتى لا ينساق المؤرخ إلى النظرية الماركسية للتاريخ.

* **علم الاجتماع:**

وهو دراسة حركة الإنسان داخل مجتمعه، والمؤثرات التي تؤثر عليه، نحو المجرات الرئيسية للكتل البشرية عبر التاريخ وأثر ذلك، ودراسة أحوال الأقليات البشرية؛ سواءً أكانت أقليات دينية أم عرقية:

«لقد ازدادت أهمية التاريخ في العصر الحديث، واستُخدم أداء لتوجيه الشعوب وتربيتها، كما استعان به أصحاب المذهب الفكرية في فلسفة مذاهبهم وتأييدها، وإيجاد سند تاريجي لها، بل إن الأوروبيين ينظرون له نظرة تقدير وإجلال، ويطلبون منه تفسير الوجود وتعليق النشأة الإنسانية»^(١).

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٥٤.

* علم الجغرافيا:

فاختلاف البيئة وتنوع المناخ والتضاريس ذو أثر كبير في اختلاف طبائع الناس وعاداتهم وأخلاقهم، وهذا ذو أثر على تاريخ المجتمعات، وقد يقارن العرب: «نعود بالله من خفة سهلي، وغلظة جبلي»، والسهلي هو من سكن السهول: سواحل أو غيرها. وقد يقارن قيل: من بدا جفا، أي من دخل البدية فأقام بها أصحابه الجفاء.

* علم النفس:

فاعتلال أو جودة نفسيات المقدمين والوجهاء في المجتمع كالحكام والوزراء والوجهاء والإعلاميين والأساتذة له أثر كبير على حركة التاريخ، بما يصدر عنهم من تصرّفات مؤثرة أثراً حسناً أو سيئاً في مجتمعاتهم، فالمؤرخ الذي لا يفقه علم النفس قد يخاطئ في تعليل الواقع التاريخية التي تنشأ بسبب تغير نفسيات أولئك المقدمين والوجهاء بين الفينة والأخرى.

وقد ذكر المؤرخون ما صنعه الحاكم بأمر الله الفاطمي^(١) في مصر من

(١) هو صاحب مصر أبو علي منصور بن العزيز نزار العبيدي المصري الإساعيلي الزنديق ، مدعى الربوبية . ولد سنة ٣٧٥ بمصر ، وتولى الملك بعد وفاة أبيه وعمره أحد عشر عاماً . كان شيئاً مريضاً ، جباراً عنيضاً ، كثير التلون ، سفاكاً للدماء ، خبيث النحله ، عظيم المكر ، جواذاً ممددحاً ، شأن عجيب ونبياً غريب ، كان فرعون زمانه ، يخترع كل وقت أحکاماً يلزم الرعية بها ، وأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ، وبكتابه ذلك على أبواب المساجد والشوارع ، وأمر عياله بالسب ، وحرق مصر ، وأمر كافة النصارى بالدخول في الإسلام قسرًا ، ودهم الكنائس ثم بعد مدة أذن لهم بالرجوع إلى دينهم ، وأمر ببناء ما هدم من كنائسهم . قتل سنة ٤١٤ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» . ١٧٣-١٨٤ / ١٥

أمور عجيبة أثرت على تاريخ تلك البلاد سنوات طوال؛ وذلك عائد في المقام الأول لاختلال نفسيته على وجه ظاهر من سيرته.

- هذه بعض العلوم التي ينبغي أن يقف المؤرخ على قواعدها العامة وضوابطها بدون التعمق فيها؛ فهذا شأن المتخصصين فيها.^(١)

٢- قضية أسلامة التاريخ:

ينبغي على مرید التخصص في التاريخ أن يفهم قضية أسلامة التاريخ، وهي تدور على مبدأ أن تاريخ الإسلام موصول بآدم ومن بعده من الأنبياء العظام إلى نبینا محمد، صلوات ربی عليهم وسلمانه، وأن هذه الأمة الإسلامية أمة واحدة لا تسود فيها العنصرية ولا الطائفية، ولا إقليمية ولا شعوبية، وأن تفسیر التاريخ منضبط بقواعد شرعية ويسنن الله -تعالى- الكونية.

وعليه أن يطلع على الكتب التي تحدثت عن التفسير الإسلامي للتاريخ حتى يعرف تاريخ الأمم ورسلهم وملوكهم وعلاقة كل ذلك بالإسلام، وكيف يمكن له أن يفسر أحداث التاريخ تفسيراً صحيحاً بعيداً عن ترهات الشيوعيين وتهويمات العلمانيين المتحررين «الليبراليين»، ومن أمثل هذه الكتب السلسلة التي أصدرها الأستاذ الدكتور جمال عبدالهادي - حفظه الله - فقد تحدث في تاريخ الإسلام ووصله بآدم، عليه الصلاة والسلام.

(١) انظر في تفصيل ذلك كتاب «المسلمون وكتابة التاريخ»: ٣٦-٥٥.

- ومن الكتب أيضاً كتاب «تفسير التاريخ علم إسلامي: نحو نظرية إسلامية في تفسير التاريخ» للأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس.
 - «التفسير الإسلامي للتاريخ»: للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.^(١)
 - وفصل «نحو منهج إسلامي لإعادة كتابة التاريخ» من كتاب «المسلمون وكتابه التاريخ» للأستاذ الدكتور عبدالعزيز خضر.^(٢)
 - وكتاب «أضواء على تفسير التاريخ» للأستاذ الدكتور نعيم عبد الرزاق السامرائي.^(٣)
 - وفصول من كتاب «فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية» للأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس.
- لكن لا بد من التعرّيف على ما كتبه الأستاذ سيد - رحمه الله تعالى - في هذا الباب لروعته وقوته، فقد قال رحمه الله تعالى في كتابه «في ظلال القرآن» في قوله تعالى: ﴿فُلِّسِرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأనعام: ١١] :
- «إن السير في الأرض للاستطلاع والتدبّر والاعتبار ولمعرفة سنن الله

(١) أستاذ مؤرخ عراقي معروف، له كتب تاريخية عديدة متميزة بالعمق والتحليل، حفظه الله تعالى.

(٢) أحد المعاصرين المهتمين بعلم التاريخ، وله كتب نافعة، حفظه الله تعالى.

(٣) أستاذ عراقي معروف ولد سنة ١٩٣٥، نال درجة الماجستير من كلية الشريعة ببغداد، والدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة القاهرة. وله مصنفات نافعة، مقيم في الرياض، في المملكة العربية السعودية، أظنه ما زال حياً، متع الله به. انظر ترجمته في ويكيبيديا في شبكة المعلومات «الإنترنت».

مرتبة في الأحداث والواقع، مسجلة في الآثار الشائعة وفي التاريخ المروي والأحاديث المتداولة حول هذه الآثار في أرضها وقومها، السير على هذا النحو لمثل هذا الهدف ويمثل هذه الوعي أمر كلها كانت جديدة على العرب تصور مدى النقلة التي كان المنهج الإسلامي الرباني ينقلهم إليها من جاهليتهم إلى هذا المستوى من الوعي والفكر والنظر والمعرفة، لقد كانوا يسرون في الأرض ويتقللون في أرجائها للتجارة والعيش وما يتعلق بالعيش من صيد ورعي، أما أن يسروا وفق منهج معرفي تربوي فهذا كان جديداً عليهم، وكان هذا المنهج الجديد يأخذهم به، وهو يأخذهم بأيديهم من سفح الجahلية في الطريق الصاعد إلى القمة السامية التي بلغوا إليها في النهاية... .

لقد كان تفسير التاريخ الإنساني وفق قواعد منهجية كهذه التي كان القرآن يوجه إليها العرب، ووفق سنن مطردة تتحقق آثارها كلما تحققت أسبابها – بإذن الله – ويستطيع الناس ملاحظتها وبناء تصوراتها للمقدمات والتائج عليها، ومعرفة مراحلها وأطوارها، كان هذا المنهج برمته في تفسير التاريخ شيئاً جديداً على العقل البشري كله في ذلك الزمان؛ إذ كان قصارى ما يُروى من التاريخ وما يدون من الأخبار مشاهدات أو روايات عن الأحداث والعادات والناس لا يربط بينها منهج تحليلي أو تكويوني يحدد الترابط بين الأحداث، كما يحدد الترابط بين المقدمات والتائج، وبين المراحل والأطوار فجاء المنهج القرآني ينقل البشرية إلى هذا الأفق ويشرح لهم منهج النظر في التاريخ الإنساني، وهذا المنهج ليس مرحلة في طرائق الفكر والمعرفة، إنما هو المنهج الذي يملك وحده إعطاء التفسير الصحيح للتاريخ الإنساني... .

إن هذه الرؤية المنهجية البكر في فهم التاريخ والتعامل معه هي واحدة من عجائب القرآن التي لا تنقضي، وإن القول بها، أو الكشف عنها، أو التأكيد عليها في بيئة فكرية لم تكن قد بلغت النضج الذي يؤهلها لإفراز مقولات كهذه – كما يتوهם الماديون – ليدل بوضوح على الصيغة الفوقيّة التي يتسم بها كتاب الله، وعلى الانفصال المحتوم – إذا صاح التعبير – بين معطيات الله الشاملة وبين أفكار الناس الجزئية القاصرة المحدودة...

وقال أيضًا رحمة الله تعالى في كتابه «في ظلال القرآن» في قوله تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا كُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرِنَ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّيَّرَاتِ عَلَيْهِمْ مُذَرَّاً وَجَعَلْنَا الْأَهْمَارَ تَخْرِي مِنْ تَخْرِيمِ فَأَهْلَكُنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآ آخَرِينَ» [الأنعام: ٦].

«أمامنا في التاريخ القريب نسيباً الشواهد الكافية على فعل الانحلال الأخلاقي والدعارة الفاشية، واتخاذ المرأة فتنة وزينة، والترف والرخاوة والتلهي بالنعيم، أمامنا الشواهد الكافية، من فعل هذا كله في انبيارات الإغريق والرومان... إن التفسير المادي للتاريخ يمحض هذا الجانب حذفاً باًئاً من تفسيره لأطوار الأمم وأحداث التاريخ، وذلك أن وجهته ابتداءً هي استبعاد العنصر الأخلاقي من الحياة واستبعاد القاعدة الاعتقادية التي يقوم عليها...»

والتفسير الإسلامي بشموله وصدقه وواقعيته لا يغفل أثر العناصر المادية – التي يجعلها التفسير المادي كل شيء – ولكنه يعطيها مكانها الذي تستحقه، في رقعة الحياة العريضة، ويبعد العناصر الفعالة الأخرى التي لا ينكرها إلا أصحاب العناد الضعيف لواقعيات الوجود، يُبرّز قدر الله من وراء كل شيء،

ويبرز التغير الداخلي في الضيائرة والمشاعر والعقائد والتصورات، ويبرز السلوك الواقعي والعنصر الأخلاقي ولا يُغفل عاملاً واحداً من العوامل التي تحرّي بها سنة الله في الحياة...

ثم أتى الأستاذ سيد بأمثلة لتفسير الإسلامي للتاريخ، قال رحمة الله تعالى ونفعنا بها كتبه:

«قاعدة وسنة، لا فلتة ولا مصادفة، قاعدة وسنة أنه حيّثا انطلقت العصبة المسلمة في الأرض لتقرير ألوهية الله وحده وإقامة منهج الله وحده، ثم وقف منها عدو لها ووقفة المشاقة لله ورسوله كان التثبيت والنصر للعصبة المسلمة، وكان الرعب والهزيمة للذين يشاقون الله ورسوله ما استقامت العصبة المسلمة على الطريق واطمأنّت إلى ربها وتوكّلت عليه وحده وهي تقطع الطريق».

ويذكر الأستاذ رحمة الله تعالى - «أن القرآن ليربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بحاضرها، فيسير من خلال ذلك كلّه إلى مستقبلها، وهو لاء العرب الذين وُجّه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم ولم تكن معارفهم، ولم تكن تجاربهم - قبل الإسلام لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة لو لا هذا الإسلام وكتابه القرآن الذي أنشأهم به الله نسأة أخرى، وخلقن به منهم أمّة تقود الدنيا...»

إن النظام القبلي الذي كانوا يعيشون في ظله ما كان ليقود تفكيرهم إلى الربط بين سكان الجزيرة وجريات حياتهم فضلاً عن الربط بين سكان هذه الأرض وأحداثها، فضلاً عن الربط بين الأحداث العالمية وال السنن الكونية التي

تجري وفقها الحياة جميماً، وهي نقلة بعيدة لم تنبع من البيئة، ولم تنشأ من متضيّبات الحياة في ذلك الزمان، إنما حملتها إليهم هذه العقيدة بل حملتهم إليها، وارتفعت بهم إلى مستواها في ربع قرن من الزمان، على حين أن غيرهم من معاصرهم لم يرتفعوا إلى هذا الأفق من التفكير العالى إلا بعد قرون، ولم يهتدوا إلى إثبات السنن والنواميس الكونية إلا بعد أجيال وأجيال، فلما اهتدوا إلى ثبات السنن والنواميس نسوا أن معها كذلك طلاقة المشيئة الإلهية، وأنه إلى الله تصير الأمور، فأما هذه الأمة المختارة فقد استيقنت هذا كله واتسع له تصورها، ووقع في حسها التوازن بين ثبات السنن وطلاقة المشيئة فاستقامت حياتها على التعامل مع سنن الله الثابتة، والاطمئنان بعد هذا إلى مشيته الطليبة^(١).

وليحذر طالب التاريخ كل الحذر من الكتب التي أرخت للتاريخ الحديث بحسن قومي^(٢) أو مادي^(٣)، فقد انتشرت هذه الكتب بسبب طغيان التيارات

(١) وهذا ما أردت اختياره من كلام الأستاذ سيد رحمه الله تعالى - في مسألة التفسير الإسلامي للتاريخ ، وقد انتزعته من بحث الدكتور عماد الدين خليل - حفظه الله تعالى - بعنوان «سيد قطب والتفسير الإسلامي للتاريخ» المنشور في مجلة «المسلم المعاصر» العدد : ٦٢ ، ص ٦٣ - ٦٢.

(٢) معنى تفسير التاريخ بالتجاهد قومي أي جعل التاريخ الإسلامي الواسع العريض الذي يضم شعوبًا كثيرة وأجناسا مختلفة هو فقط حلقة من حلقات تاريخ العرب، وتفسير أحدها على أساس الصراع القومي بين العرب والشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام، انظر «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١٧٣.

(٣) معنى تفسير التاريخ بالتجاهد مادي هو ما قام به الماركسيون الشيوعيون في القرن الماضي من جعل المادة فقط هي أصل الكون، والإنسان قد نشأ منها بالتطور والارتقاء ، وليس هنالك قوة أخرى غير قوة الطبيعة قد أثرت في نشوئه وارتقاءه ، والعامل الأساس =

القومية والناصرية والاشراكية في منتصف القرن الماضي، ومنها بعض كتابات الدكتور عبدالله العليلي^(١)، وكتابات عبدالعزيز الدوري القومية^(٢).

=في هذا التطور هو وسائل الإنتاج !! وهي التي تحدد نوع العلاقات الاجتماعية والعقائدية والمذاهب الأخلاقية في كل طور بل تحدد الحياة العلمية والفكرية والروحية أيضاً!! فكل تغير في وسائل الإنتاج يحدث تغيراً في هذه العلاقات، فالمجتمعات البشرية - في تصورهم الباطل - بدأت بدأئنة تسودها الشيوعية، ثم بسبب اكتشاف وسائل الإنتاج تحولت المجتمعات إلى نظام الإقطاع، ثم إلى الرأسمالية، ثم إلى الشيوعية، إلى آخر هذا الماء والصداع الذي أرهقا البشرية به طويلاً وأغفلوا فيه كل تواريخ الأنباء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - بل احتقروه وحاربوا أتباعه بكل ما أوتوا من قوة، ثم أهلكتهم الله وأذهب دولتهم، وانظر المصدر السابق: ١٦٩ . ومثلاً على هذا التفسير المادي للتاريخ الإسلامي انظر المراجعة النقدية لكتاب حسين قاسم العزيز، العراقي، بعنوان: «البابكية: انفاضة الشعب الأذريجياني» فقد كاَل هذا المؤرخ المدح لبابك الحرمي وحركته، وسماه بطلاً، ومن المعروف أن حركة بابك كانت زمن المخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري، وكانت حركة شيوعية منحرفة تحمل الحرام وتبيح الفروج، وسبب تحمس هذا المؤرخ لتلك الحركة هو أن أستاذه المشرف عليه في الجامعة كان متھماً لهذا الموضوع، وهو وأستاده يتبنّيان التفسير المادي للتاريخ، وانظر للتفصيل كتاب «قراءة ومراجعات نقدية»: ٦٧-٦٠.

(١) انظر نقد الأستاذ وليد نوينهض له في كتابه: «المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ»: ص ٧٣ وما بعدها.

والعليلي هو عالمة لغوی. ولد في بيروت سنة ١٣٣٣ ، ورحل إلى مصر للدراسة في الأزهر، ثم في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم عاد إلى بلاده: له عدة مصنفات. توفي سنة ١٤١٧ / ١٩٩٧ . انظر «إقام الأعلام»: ١٧٠ .

(٢) «المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ»: ص ٦٥ وما بعدها.
والدوري ولد سنة ١٩١٩ وتوفي سنة ٢٠١٠ . وهو مؤرخ عراقي قومي. عمل في جامعة بغداد ثم انتقل إلى الأردن للتدريس في الجامعة الأردنية. له عدة مصنفات تاريخية، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

وكذلك ليحذر من كتب المؤرخين ذوي التوجهات الشيوعية والتحررية «الليبرالية»، وذلك نحو ما سطره الكاتب الماركسي صادق جلال العظم^(١).

٣- قضية إعادة كتابة التاريخ:

وهذه لها صلة بالقضية السابقة الذكر، وقضية إعادة كتابة التاريخ قضية شائكة جدًا، ويطالب بها الإسلاميون والمتحررون «الليبراليون»، واللادينيون «العلانيون»، والغربيون وعلى رأسهم الكنسيون والساسة، كل هؤلاء يطالعون بإعادة كتابة التاريخ كلًّ من وجهة نظره ومنطلقه العقدي أو الفكري «البرمجاتي».

والحق أتنا في أمس الحاجة إلى إعادة كتابة التاريخ خاصة التاريخ الحديث الذي بدأ منذ قرنين تقريبًا، ففيه أحداث كثيرة جداً لم تكتب بعد أو كتبت مشوهة على أيدي اليساريين والماركسيين والقوميين واللادينيين «العلانيين» والمتحررين «الليبراليين» والمستشرقين وأمثالهم من الذين لا يرجون الله وقاراً. أما التاريخ قبل ذلك فلا بد من إعادة كتابته وتقريره إلى الأجيال الناشئة، والاستفادة منه في تقويم مسارنا الحاضر والمستقبل، وفي تربية الأجيال على معرفة عظماء هذا التاريخ الذين شوهت سيرهم أو طمسوا وأخفيت عمداً، فصارت الأجيال تعرف سير الممثلين ولاعبي الكرة والمغنيين وتجهل أكثر سير

(١) «المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ»: ص ١٥٢ وما بعدها. والعظم ولد بدمشق سنة ١٩٣٤. درس الفلسفة في الجامعة الأمريكية وتخصص في الفلسفة الأوروبية الحديثة. وكان أستاذًا زائرًا في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنسون بأمريكا إلى سنة ٢٠٠٧. له عدة مصنفات. وهو ماركسي نسأل الله العافية. وأظنه ما زال حيًّا. انظر ترجمته في المصدر السابق.

عظمائها بل الغالية العظمى من هذه السير، وصارت هذه الأجيال مُغيبة عن الأحداث التاريخية الكبرى والمعطفات العظمى في مسيرة أمّة الإسلام قديماً وحديثاً، فلا بد إذن من إعادة كتابة التاريخ وتقريره وتسويقه للكافة، وأن يستفاد منه الاستفادة القصوى في التربية والتقويم والتغيير، والله أعلم.

ولينظر في هذا فصل « نحو منهج إسلامي لإعادة كتابة التاريخ» من كتاب « المسلمين وكتابه التاريخ » للدكتور عبدالعليم خضر.

وفصل «في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي» من كتاب « تاريخنا المفترى عليه » للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي.

سره تاريجي للمطالبات بإعادة كتابة التاريخ :

سرد الدكتور محمد بن صامل السُّلْمي^(١) هذه المطالبات فقال:

«أول من علمت أنه دعا إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، الشيخ محب الدين الخطيب، ثم الأستاذ سيد قطب في كتابه: في التاريخ فكرة ومنهاج^(٢).

ثم طُرح الموضوع على مجلس اتحاد الجامعات العربية عام ١٩٧٤م، وقرر تشكيل لجنة تحضيرية لدراسة «إعادة كتابة تاريخ

(١) هو أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حفظه الله تعالى.

(٢) ذكر في آخر هذا الكتاب ص ٦١ في المأمور أنه تألفت جماعة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي وهي تألف من الشيخ صادق عرجون، ومحمد يوسف موسى، وعبدالحميد يونس، ومحمد النجار، وسيد قطب. ولا نعلم أن هذه اللجنة أصدرت شيئاً بهذا الخصوص، وإنما قام الشيخ محمد صادق عرجون بكتابته كتابة عن خالد بن الوليد وعثمان بن عفان وما يجهود فردية.

العرب والإسلام» وإنشاء معهد للتاريخ العربي، ودائرة معارف تاريخية عربية^(١).

ثم عقدت في جامعة الكويت «حلقة عمل لمشروع إعادة كتابة تاريخ العرب والإسلام»^(٢).

وقد طُرِحَ الموضوع أيضًا على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي فاتخذ في دورته الثالثة والعشرين المنعقدة عام ١٤٠١ هـ قراراً بتشكيل لجنة في نطاق الأمانة العامة للرابطة من خمسة أعضاء تقوم بوضع خطة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي تغطي آسيا، وإفريقيا، على أن تطرح الأمانة العامة للرابطة فقرات الخطة في مسابقة عامة على نمط مسابقة السيرة النبوية ويشروطها، كما اتخذ المجلس توصية أخرى في دورته الرابعة والعشرين المنعقدة عام ١٤٠٢ هـ.

وقد علمت أن موضوع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي قد عُرض على هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية لكنها لم تتخذ قراراً عملياً بهذا الشأن حتى الآن.

إن كثرة طرح الموضوع وتعدد الم هيئات العلمية التي درسته يدل على أهميته وعلى الحاجة الملحة التي شعر بها أولئك العلماء وتلك

(١) تألف هذه اللجنة من الدكتور عبدالعزيز كامل، وأحمد بدوي، ومحمد مرسي أحمد، وعبدالعزيز النوري، ومحمد الطالب، وحسين مؤنس، وشاكر مصطفى. انظر: جريدة الجمهورية القاهرة ١٨/١٢/١٩٧٤ م.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية، عدد ٢٣٢، محرم ١٣٩٥ هـ.

المؤسسات العلمية والشرعية لبحث هذا الموضوع.

وقد ناقش هذه الدعوة عدد من الباحثين بين مؤيد ومتقد (١)، ولا شك أن المقصود بالإعادة عند من دعوا لهذا العمل لأول مرة هو تنقية الكتب من الأخطاء والروايات المكذوبة ومن ثم إعادة الصياغة وفق المنظور الإسلامي (٢) للاستفادة من دراسة التاريخ في مجال التربية والأسورة الحسنة، ولكن يبدو أن هذه الدعوة قد استغلت وأريد لها أن لا تستمر في الطريق المستقيم، حيث تلقفها بعض الكتاب المنحرفين فكريًا كالماركسيين، والقوميين، والاشتراكيين، والعلمانيين، والمنزليين في مدارج المستشرقين والمتصرين، الذين أرادوا الاستفادة منها في تفسير التاريخ الإسلامي وفق أفكارهم ودعواتهم المنحرفة (٣). (٤)

(١) من الذين عارضوا هذه الدعوة الأستاذ أحد محمد جمال في محاضرة له مطبوعة بعنوان «تارينينا لم يقرأ بعد»، وأيضاً الشيخ عثمان صافي الذي يرى أن طرح الموضوع بهذا العنوان: «إعادة كتابة التاريخ» ينطوي صراحة على تحطيم السلف في كل ما كتبوه، ويرى أن إعادة كتابة التاريخ ضرب من الخيال، انظر: مجلة المجتمع الكويتي، محروم ١٣٩٥هـ، عدد ٢٣٢.

(٢) انظر: سيد قطب، في: «التاريخ فكرة ومنهاج» . ٥٥

(٣) قامت مجلة المعرفة التي تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بسوريا بطرح أسئلة على مجموعة من الباحثين بعنوان «إعادة كتابة تارينينا القومي؟»، ثم طبعت إجاباتهم وأصدرتها في كتاب بعنوان «كيف نكتب تارينينا القومي؟»، وفي حلقة العمل التي عُقدت بجامعة الكويت عام ١٣٩٤هـ حضر الدكتور عبدالعزيز الفدا مدير جامعة الرياض آنذاك تلك الحلقة، ويعد انتهاء جلساتها أجرت معه مجلة المجتمع الكويتية مقابلة في العدد ٢٣٢، وقد أبدى كثيراً من التحفظات وقال: إن المشروع ينقصه العلماء المتخصصون في الشريعة.

(٤) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١١-١٣.

وقال الأستاذ المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله معلقاً على قضية إعادة كتابة التاريخ:

«لكل جيل تاریخه: عبارة يصح أن تطلق في هذا المجال، إن كتابة التاريخ عملية حية ومتتجدة، فكل جيل له تفسيره للتاريخ بالوسائل التي تلقاها في المدرسة والبيئة والمعارف المعاصرة له، ولو لم يحدث ذلك لتجدد التاريخ وتوقفت مسيرة الإنسان نحو الأفضل، وعملية تجديد التاريخ لا تعني قلب الحقائق ولا عكس المفاهيم ولكنها تعني تصحيح ما غاب خطأه وتمكيل ما ند جزءه أو أجزاؤه عن نظر القدماء، وقد تكون بعض حقائق التاريخ مزيفة أصلًا^(١) فنكشف عملية التجديد أو إعادة الكتابة عن ذلك الزيف وتعيد الأمور إلى نصابها، وقد عانينا نحن في الجزائر الكثير من هذا الزيف في الفترة الاستعمارية^(٢)، وأظن أن البلاد العربية كلها في حاجة إلى مراجعة تاریخها في ضوء العلم الحديث وثقافة المؤرخين أنفسهم والمعطيات والوثائق الجديدة، والمؤرخون هم المؤهلون بالطبع للقيام بهذا الدور؛ لأن إعادة كتابة التاريخ ليست مجرد القدرة على الكتابة أو الحصول على المؤهل العلمي، بل هي قبل كل شيء الالتزام بشرف المهنة، والشعور بالمسؤولية نحو الجيل والأمة والتاريخ، ومن ثم ليس كل مؤرخ مؤهلاً للقيام بهذا الدور».

ثم حث على إعادة كتابة التاريخ على أيدي مجموعة وليس فرداً من الناس

فقال:

(١) يعني ما يُظن أنه حقيقة تاريخية، وذلك لأن الحقائق لا توصف بالزيف.

(٢) الأصح وصفها بالاستخراجية.

«نحن في عصر لم يعد فيه الجهد الفردي قادراً وحده على تلبية حاجات الناس وشغفهم بالمعرفة، ولذلك فإن إعادة كتابة التاريخ قد تنطلق من هيئات متخصصة، أو من أفواج عمل تسندها مراكز البحث أو الجامعات، ولا شك أن ذلك يساعد المؤرخ على التفرغ لمشروعه ويكتفي مؤوننة البحث عن الوثائق والتفكير في تكاليف الطبع ونحوها»^(١).

٤- قضية الأخذ بمناهج العلَّاذين في تصحيح الأخبار التاريخية الواردة في كتب السيرة والتاريخ:

إن المترسخ لإعادة كتابة سيرة رسول الله ﷺ إنما يتصدى لأمر عظيم، كثرت أخباره، واتسعت تفاصيله، وتفرقت في الكتب الكثيرة، وأكثر تلك الأخبار قد ورد بسند، وبعضها الآخر بدون سند، وأكثر الأخبار قد جاء صحيح الإسناد، وبعضها الآخر قد ضعف إسناده أو وهى وسقط، فكيف تورد تلك الأخبار؟

وكذلك حال المترسخ لكتابه التاريخ الإسلامي منذ عصر الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم؛ إذ كيف يصنع بالأخبار الواردة صحيحها وضعيفها وما كان منها بدون سند؟!

وهاهنا سأورد التعامل مع السيرة النبوية مثلاً، وأنترك كتب التاريخ لأن التعامل معها قريب من التعامل مع السيرة فلا داعي للتكرار.

إن علماء الإسلام ومؤرخيه في ذلك على طرفين ووسط، فقسم أورد كل

(١) «حوارات»، ١٧٩، ١٨٠.

شيء، ولم يقنع إلا أن يأتي بكل ما وقف عليه من السيرة غير آبه بدرجته من الصحة والضعف والوضع، وهؤلاء كلهم من القدامي^(١)، فإني لا أعرف أحداً من المعاصرين سلك هذه السبيل.

وقسم آخر من العلماء شدد وأبى إلا أن يأخذ بمناهج المحدثين في التصحيح والتضعيف، ورفض الأخبار التي عليها تخايل الضعف، وجل هؤلاء بل ربما كلهم من المحدثين^(٢).

وقسم آخر توسط فأخذ من السيرة جل أخبارها، ونقد ما يراه من ضعف أو نكارة أو وضع^(٣).

أما القسم الأول فلا يُعوّل على ما يورده من الأخبار الموضوعة أو شديدة الضعف أو الغرية المنكرة، وإنما يؤخذ منه ما وافقه عليه الجمهرة من رواة السيرة؛ إذ إن القارئ يقرأ في تلك الكتب غرائب وعجائب لا تليق بسيرة سيد المرسلين ﷺ.

وربما كان مثل هذا الخلط هو الباعث على الصيحة التي صاحها المندون بوجوب كتابة السيرة على قواعد المحدثين.

(١) وعلى رأس هؤلاء الإمام الصالحي في كتابه الضخم «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، والخلبي في «السيرة الخلبية».

(٢) انظر مقدمة د. عمر الأشقر على كتاب الشيخ إبراهيم العلي «صحيح السيرة النبوية»، وانظر مقدمة د. مهدي رزق في كتابه «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية».

(٣) وعلى رأس هؤلاء الإمامان الذهبي وابن كثير على تفاوت بينهما؛ فالذهبى أكثر تحريماً وأحسن ضبطاً وأقوى نقداً، وإن كان نحشه في نقد مرويات السيرة أقل من نفسه في نقد المرويات التاريخية الأخرى.

وأما القسم الذي شدد في قبول الأخبار، ولم يقبل منها إلا ما صاح على وفق منهج المحدثين فأرى أنه لم يسلم من الشطط، فقد أسقط بهذا من السيرة أحداثاً تفصيلية مهمة بدعوى أنها لم تثبت ثبوت الأخبار الحديثية، وإليكم هذا النص الموضح لما ذهب إليه أهل هذه المدرسة:

«إن كتب المغازي والسير تشتمل على الروايات الضعيفة والموضوعة، ولكنك تجد لكل رواية إسناداً^(١)، والواجب على الباحث أن يتحقق هذه الأسانيد ويختار الصحيح منها»^(٢).

وأقول: إن الباحث إن صنع هذا فسيترك تفصيلات مهمة يحتاج إليها الجيل لكنها لم تثبت بسند صحيح ولا ضير في إيرادها، وقد رأينا من كتب في السيرة النبوية الصحيحة فأسقط عددًا من الروايات بدعوى ضعفها وهي مفيدة في إظهار النص وتبيينه أو تكميله، قال الدكتور أكرم ضياء العمري^(٣)، حفظه الله تعالى:

«ينبغي الانتباه إلى أن الانتقاء عندما يتم وفق قواعد صارمة فإنه يدع مجالاً لتلفت العديد من النصوص التاريخية التي يمكن التعامل معها وفق معايير أقلَّ

(١) في هذه الكلية نظر؛ فإن أخباراً كثيرة قد وردت بلا إسناد.

(٢) دراسات في السيرة النبوية، ١٠٧.

(٣) أستاذ مؤرخ عراقي معروف، درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة النبوية عشرين سنة، ثم درس في جامعة قطر سنتين عديدة، وهو الآن متفرغ في قطر للشئون العلمية، له مصنفات نافعة جدًا، ودراساته التاريخية مرتبطة بالشرعية وقواعدها، وهذا في المؤرخين قليل، حفظه الله تعالى.

صرامة، ومن ثم فإن قراءة نصوص الواقدي^(١) وفق منهج النقد التاريخي تتبع الفرصة لإضافات أخرى لمادة السيرة، وهذا ينطبق على الروايات التي أوردها ابن إسحاق^(٢) دون إسناد... إن هؤلاء الرجال المتخصصين في فن السيرة قد عوملوا من قبل النقاد القدامى بتساهل كبير بغية الإفادة من رصيدهم التاريخي المهايل^(٣)،

والمطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها ثم الحسنة ثم ما يعتصد من الضعف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام... أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتصد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعى... أما الروايات المتعلقة بوصف ميادين القتال وأخبار المجاهدين الدالة على شجاعتهم وتضحيتهم فلا بأس من التساهل فيها^(٤).

ـ هذا ولعلم أني وجدت أن من شدد في عدم قبول روایة من

(١) محمد بن عمر بن واقد الإسلامي الواقدي، المد니 القاضي، نزيل بغداد. متوفى مع سعة علمه. مات سنة ٢٠٧ ولد ٧٨ سنة رحمة الله تعالى. انظر «التقرير»: ٤٩٨.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار العلامة الحافظ الأخباري أبوبيكر -وقيل: أبو عبدالله- القرشي المطلاعي مولاه المد니 صاحب السيرة النبوية. كان جده يسار من سبى عين التمر في دولة خليفة رسول الله ﷺ أبوبيكر الصديق ﷺ. ولد سنة ٨٠ وتوفي ١٥٠، انظر «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»: ٢/٦٧٣.

(٣) «السيرة النبوية الصحيحة»: ٢٠.

(٤) المصدر السابق: ٤٠.

الروايات إلا أن تكون صحيحة، واشترط هذا في كتابه الذي صنفه وجدت أنه لا ينفك من إيراد بعض الضعيف ليكمل به النقص والفحوات التي لا تكملها الروايات الصحيحة، وهذا -عندى- مقبول، وبه يقترب أهل هذا القسم من صنف في القسم الثالث الذي سأورده بعد هذا إن شاء الله تعالى، فصارت القسمة -على الحقيقة-

ثانية:

قسم تساهل، وقسم أخذ بالصحيح إلا لا يجد غير الضعيف على التفصيل الذي ذكرته، والله أعلم.

وأما القسم الذي توسط فهو الذي إليه أميل وعليه ^{أعوّل}، وأرى أنه حافظ على رونق السيرة وجمها بدون إفراط ولا تفريط، وأنى بالأخبار التي رواها جل الشيوخ الأوائل الذين جمعوا سيرة المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلامه.

ولذلك كله أرى -والله أعلم- أن ضوابط إيراد أخبار السيرة في هذا القسم -قسم دخول الأخبار تحت دائرة القبول- هي التالي:

(١) ما كان فيها من أخبار تتعلق بالعقائد، أو الفتن، أو الحكم على الأشخاص بالتفاق أو الكفر، أو الإخبار بالمخيبات فهذا لا بد من أن يثبت بسند صحيح أو حسن لذاته أو لغيره، على حسب التفصيل الوارد في كتب دراسة الأسانيد الحديثية، ولا يُقبل في هذا القسم الأخبار الضعيفة.

(٢) ما كان فيها من أخبار متعلقة بالكمالات النفسية، والمجاهدات، والرقائق، وأخبار الزهد، والشجاعة، والبطولات، وغير ذلك مما لا تعلق له

بالقسم الأول، ما كان فيها من هذا الباب من أخبار فإنه يقبل بالضوابط التالية:

أـ أن تكون واردة في كتب السيرة الأصلية وليس الفرعية، ومن تلك الكتب الأصلية: سيرة ابن إسحاق، وسيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد^(١)، ونحوهم من جمعوا أخبار السير عن أشياخهم الذين كانوا بين صحابي وتابعبي.

بـ ألا تكون مما يفحش ذكره، ويسوء إبراده، وذلك كما قال ابن هشام: «أنا إن شاء الله... تارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشぬ الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره...»^(٢)

جـ ألا تكون من الإسرائيليات، فهذه لها حكم خاص بها.

دـ ألا تكون خارجة عن القواعد العامة للشريعة الإسلامية ومقاصدها العلية.

(١) محمد بن سعد بن منيع، الحافظ العلامة الحجة، أبو عبدالله البغدادي، كاتب الواقدي، ومصنف «الطبقات الكبرى» في بضعة عشر مجلداً و«الطبقات الصغرى» وغير ذلك. ولد بعد الستين والمائة وتوفي سنة ثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنين وستين سنة: انظر «سير أعلام النبلاء»: ٦٦٤/١١.

(٢) مقدمة سيرة ابن هشام.

ثم إن هذه الأخبار قد تردد بإسناد ضعيف وقد ترد بدون إسناد، وهذا لا ضير فيه – عندي – إن اندرجت تحت ما ذكرته آنفاً من الضوابط؛ وذلك لأن وجود هذه الأخبار في تلك السير الأصلية الأولى باعث على الاطمئنان على أن لها أصلًا، وذلك لأسباب منها:

١- اشتهر تلك الأخبار بين السلف الأوائل في القرن الأول والثاني، وابن إسحاق – على سبيل المثال – صاحب السيرة المشهورة إنما هو منهم، وقد رأى بعض الصحابة، وهو مدني وأشياخه مدنيون كانوا قد ورثوا أخبار السيرة واشتهرت بينهم، فلا يضر ورودها – إذن – بإسناد ضعيف أو بدون إسناد. بل إن الواقدي الذي هو جمع على تركه يقول في الحافظ ابن حجر:

«والواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا». (١)

وقال فيه الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:

«لا يُستغني عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم... وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ وتورد آثاره من غير احتجاج» (٢).

ومعنى هذا أن الواقدي إن جاء ببعض التفصيلات التي لا توجد عند غيره، وليس هي داخلة في باب العقيدة والشريعة وما شابهها مما ذكرته آنفاً

(١) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» د. مهدي رزق الله أَمَد.

(٢) المصدر السابق

فلا بأس بإيراده مع علمنا أنه ضعيف متزوك؛ وهذا حتى لا تضيع تلك التفصيات ذات الفائدة.

٢- ثم إن علماء السلف -رحمهم الله تعالى- قد قبلوا تلك السير من غير نكير أعلمهم، وارتضوها بل رواها كثير منهم وتداولوها، ولو أنهم توافقوا في صحتها أو شكوا في نكارة بعض أخبارها للذكرة وجلهروا بذكره، فشيء قد قبله السلف والتتفوا حوله، ورووه وارتضوه لأنّي نحن المتأخرین لنجدهم بدعاوى أنه ورد بأسناد ضعيف أو بدون إسناد!! إنما ينبغي أن نتشدد في الأخبار الواردة في الفتنة والأحكام والعقائد ونحوها، أما أخبار البطولات والرقة والكمالات فيها وجه التشدد فيها إذا كانت واردة على الوجه الذي ذكرته آنفًا؟!

وقد قال الأستاذ أكرم العمري - حفظه الله تعالى- وهو من كبار المهتمين بقضية تصحيح السيرة وتنقيتها:

«قد تبرز معانٌ خلقية ودينية مؤثرة في الروايات التي أهملتها، لكنني لم أكتثر لذلك ما دامت ضعيفة الثبوت، وقد ظهر جلياً أن الاعتماد على صحيح الروايات وحسنها يكفل توضيح الأبعاد التاريخية للسنة النبوية دون حاجة إلى الضعف من الروايات»^(١).

ثم قال مقيداً وموضحاً، وأوافقه تماماً على ما قاله:
«ويلاحظ القارئ أن الروايات الضعيفة من الناحية الحديثية لم تستبعد

(١) «السيرة النبوية الصحيحة»: ٢٩.

نهائياً بل تمت الإفادة منها في الموضوعات التي لا تتعلق بالعقيدة أو الشريعة حيث لم نجد روایات صحيحة وفق معايير المحدثين...»^(١).
وختاماً أقول:

إن تاريخنا ثري غني، ليس لأمة من الأمم عشر معشار ما لدينا من أخبار الأسلاف والأجداد العظام، وكثير منها متصل صحيح، فتاريخ مثل هذا هو فخر لنا وعزه فينبغي المحافظة عليه، والاهتمام به الاهتمام اللائق، وعدم تضييعه بالتدقيق الزائد والمحاكمة الظالمية التي تحتاج كثيراً من التفاصيل المهمة والدقائق العظيمة تحت عنوان براق جذاب مثل إعادة كتابة التاريخ، أو تمحص الأخبار، أو غربلة التواریخ، أو غير ذلك مما هو حق ومطلوب لكن السبيل إليه ما تختلف فيها الآثار، وتتفاوت فيها مسالك الفهوم، وحسبى أنني أوضحت الذي أراه حقاً في المسألة، وأنترك الجبل رَجَحِيَاً لمن أراد التعقيب والمناقشة، والله تعالى الموفق.

٥- فهم مناهج المؤرخين:

إن فهم مناهج المؤرخين في كتابتهم الأحداث التاريخية أمر لا بد منه لمزيد التخصص في التاريخ؛ ذلك أن منهج أي مصنف متاثر بزمانه ومكانه، ودرجة وعي المؤرخ وعلمه، فلا بد من معرفة أحوال مجتمعات المؤرخين القدامى، وكيف عاشوا، وما هي الأمور التي أثرت عليهم وعلى كتابتهم التاريخية، وذلك كله اليوم سهل؛ فقد وُجدت ثروة جليلة من الدراسات التي عُنىت بالمؤرخين وعصورهم

(١) المصدر السابق.

وأحوالها الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية يمكن الرجوع إليها بسهولة فيما نشر من رسائل «الدكتوراه» و«الماجستير» التي عُنيت بمناهج المؤرخين، وهناك بعض الدراسات القديمة نسبياً منها:

كتاب «التاريخ والمؤرخون العرب» للأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم^(١).

وكتاب «التاريخ العربي والمؤرخون» للأستاذ شاكر مصطفى^(٢).

وكتاب «المسلمون وكتابة «التاريخ»: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ»: للأستاذ الدكتور عبد العليم خضر.

(١) مؤرخ مصرى وأستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية ورئيس قسم التاريخ والآثار فيها. ولد في طنطا سنة ١٩٢٨ / ١٣٤٧. حصل على بكالوريس في قسم الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٠ وببلوم الدراسات الإسبانية من جامعة مدريد سنة ١٩٥٧. وتدرج في عدة وظائف ومناصب ، وحصل على جواز وأوسمة ، وله عضويات علمية عديدة في جمعيات واتحادات ومعاهد. وله مؤلفات وأبحاث كثيرة بين تأليف وتحقيق ترجمة - توفي - رحمه الله تعالى لكن لم أقف على تاريخ وفاته ومكانه. انظر ترجمته في شبكة المعلومات الانترنت.

(٢) مؤرخ، أديب، ولد بدمشق سنة ١٣٤٠ / ١٩٢١، وخرج في مدرستها التجهيزية وفي دار المعلمين. شارك في الحركة الوطنية وساعد الثوار ضد الفرنسيين و تعرض لأذىهم، نال إجازة التاريخ من مصر والدكتوراه من سويسرا. وأجاد الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية، وعين في وظائف في السلك التعليمي والسياسي، وصار سفيراً في كولومبيا والبرازيل، ثم صار وزيراً للإعلام، ثم انتقل إلى الكويت وعيّن في وظائف عليا فيها، له أكثر من خمسين كتاباً. توفي بدمشق سنة ١٤١٨ / ١٩٩٧. انظر «إنقام الأعلام»: ١١٩، ١٢٠.

وكتاب «المسيرة الإسلامية للتاريخ» للدكتور منير الغضبان^(١).

٦- الإطلاع على الشبهات المثارة حول التاريخ الإسلامي:

ينبغي لمريد التخصص في التاريخ أن يطلع على ما أثير من شبهات كثيرة عليه سواء من قبل المستشرقين والكتّانسيين أعداء الإسلام أو من قبيل من فهم التاريخ خطأً من المسلمين أنفسهم، كالتنويريين القدامى والجدد^(٢)، ومن قبيل غير المسلمين من العرب الذين عاشوا بين ظهرينا ودسوا السم في الدسم مثل جرجي زيدان^(٣) الذي استمرا الكذب والتحريف في رواياته التاريخية.

وهذه الشبهات لا تكاد تترك عصرًا من العصور الإسلامية إلا وترمته بسهامها؛ منذ الصدر الأول إلى يوم الناس هذا.

وهي شبهات تجد من يرددتها ويسعى لتشييدها في ذهان عامة المسلمين وخاصة منهم، وهي إن صدقت وأخذت بها واعتبرت مسلمة فإنها ستعود بآثار

(١) أستاذ داعية معروف، من سوريا، له عدة مصنفات، يعيش في مكة الآن ، حفظه الله.

(٢) أعني بالتنويريين - هنا - بعض من كتب في التاريخ الإسلامي مدعياً أنه ي يريد التحدث والتنوير، وينصر ما جرى في أوروبا منذ عصر النهضة من مساوى ومقاصد ويتمني أن يشاهد مثله في ديار الإسلام !! والقدامى منهم هم الذين بربوا في القرن قبل الماضي وأوائل القرن الماضي، والجدد هم من جاؤوا بعدهم إلى يومنا هذا، وربما أفرد الحديث عنهم - إن شاء الله تعالى - في رسالة قادمة.

(٣) جرجي بن حبيب زيدان، منشئ مجلة الملال بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة. ولد بيروت سنة ١٢٧٨ / ١٨٦١، وتعلم بها، ثم رحل إلى مصر. له مصنفات فيها آراء خبيثة دس فيها السم في الدسم. توفي بالقاهرة سنة ١٣٣٢ / ١٩١٤. وانظر «الأعلام»:
١١٧/٢

خطيرة على الفكر والثقافة، وستدمر الصورة الناصعة لأسلام المسلمين اليوم الذين يريدون العودة بالإسلام إلى ماضيه المجيد، وريادته السلبية.

وهناك جهود حديثة بذلت منذ القرن الماضي إلى الآن من أجل تشويه التاريخ الإسلامي وتزيف أحداثه، وإضعاف الثقة به، وإليكم هذا النص المعبّر عن بعض هذه الجهود مما تسرّب إلينا، وما خفي كان أعظم:

«كان مما قرره المؤتمر الصهيوني في بالتيمور بأمريكا سنة ١٩٤٣م / ١٣٦٢هـ - والذي حضره اليهودي ابن جوريون^(١) - مضاعفة الجهد لتزيف التاريخ الإسلامي، والتركيز على ثورات الزنج والقراطمة والباطنية، وتصويرها على أنها حركات تقدمية تمثل العدل الاجتماعي»^(٢).

وبهذا النصّ وأمثاله تفهم أغراض الكتابات المريمية التي سطّرها أقوام لهم أسماء عربية وإسلامية وفيها تشويه تام لتراثنا ومواطن الفخر والعزّة فيه.

وهناك جملة من هذه الشبهات تفتقر إلى تفنيـد وبيان بمنـهج علمي صحيح، وقد تكفلت كتب بيان تلك الشبهات والرد عليها، فمن ذلك:

(١) صهيوني مشهور. ولد في بولندا سنة ١٨٨٦. ارتحل إلى فلسطين سنة ١٩٠٦ ثم ثقلت به الأحوال حتى ولي رئاسة وزراء الكيان المُسْنَح منذ سنة ١٩٤٨ لمدة طويلة، وهو مؤسس حزب العمل. هلك سنة ١٩٧٣. انظر ترجمته في ويكيبيديا على شبكة المعلومات «الإنترنت».

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ٥٥٥ نقلًا عن كتاب الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله تعالى - «تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات»: ١٥٤.

«العواصم من القواصم» للإمام ابن العربي المالكي^(١).

«تاریخنا المفتری علیه» للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوی.

«أغالیط المؤرخین» للأستاذ الدكتور محمد أبي الیسر عابدین^(٢).

«أباطیل الأباطیل» للأستاذ حُسْنی شیخ عثمان^(٣).

والفصل الرابع من كتاب «فقه التاریخ وأزمة المسلمين الحضارية»
للأستاذ الدكتور عبدالحليم عویس.

وللرد على شبہات الکنسین والمستشرقین والمارکسین ينظر في
كتاب «دراسات تاریخیة» فضل «معطیات المستشرقین إزاء السیرة»
للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.

لكنی في هذه العُجالَة أريد أن أعرج على شبہة خطيرة أثارها عدد من

(١) الإمام العلامة، الحافظ، القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد، ابن العربي الأندلسی الإشبيلي المالکي، صاحب التصانیف. ولد سنة ٤٦٨ھ، وکان ثاقب الذهن، عذب المطق، کریم الشسائل، توفي سنة ٥٤٣ بفاس، رحمه الله تعالى. انظر: «سیر أعلام النبلاء»: ٢٠٤-١٩٧/٢٠.

(٢) محمد أبو الیسر بن محمد بن الخیر بن أحد، يتھی نسبه إلى الحسین بن علی، رضی الله عنھما. كان مفتی الشام في عصره. ولد بدمشق سنة ١٣٠٧/١٨٨٩. درس الشريعة وكان في الوقت نفسه طبیباً، شارک في الثورة السورية على الفرنسيين. له مؤلفات كثيرة. توفي سنة ١٤٠١/١٩٨١. انظر ترجمته في «إقام الأعلام»: ٤٢١.

(٣) أستاذ سوري معاصر، من حماة، وعمل في رابطة العالم الإسلامي في مكة المکرمة. أظنه لازال حیاً، حفظه الله تعالى، وكتابه هذا رد فيه على إبراهيم شعوط مؤلف كتاب «أباطیل بیجب أن تمحی من التاریخ»، وله كتاب في التجوید معروف متداول اسمه «حق التلاوة»، وله كتب أخرى.

اللادينيين «العلمانيين» والمتغلتين المتحررين من ربيقة الشريعة «الليبراليين» وغيرهم من المخدوعين من حسنت نبته وسأه فهمه، ألا وهي شبهة أن الحكم الإسلامي لم يقم إلا في أيام الخلفاء الراشدين وما عدا تلك المدة فلا، وهذه شبهة خطيرة لأن مؤداتها أن الحكم بالإسلام إذا لم يكن قائماً زمن الصدر الأول فهو أخرى ألا يكون ممكناً اليوم، ومرادهم من إثارة هذه الشبهة هو الآتي:

أولاً: إضعاف صلة مسلمي اليوم بأسلافهم، وإفقادهم الثقة بتاريخهم، وصيغة بسواد حalk حتى لا يعودوا يعتزون به أو يفتخرن.

ثانياً: قطع رجاء المسلمين اليوم من العودة إلى تحكيم الإسلام من جديد، فإذا كان الإسلام لم يحكم في العهود السلفية الأولى التي يتغنى بأجادها الأجيال، فهل سيحكم في القرن الخامس عشر الهجري / الحادي والعشرين الميلادي؟!

ثالثاً: قطع الطريق أمام الحركات الإسلامية المطالبة بالعودة إلى تحكيم الإسلام في الأرض، وإثارة الغبار في وجوه مطالبها بهذا الزعم الغريب والعجيب.

رابعاً: اتهام كل ما سبق من دول وسلطانات وخلافات بهذا الجرم العظيم ألا وهو عدم تحكيم الإسلام، وبهذا يضمحل احترامهم في أذهان الأجيال الحاضرة والقادمة.

خامسًا: ول يصلوا من خلال كل ذلك إلى الزعم بأن الإسلام يتناول شطر الدين في حياة الناس فقط، أما الدنيا وسياستها وسوس أهلها في مجالات حياتهم المختلفة فليس للإسلام فيه حظ ولا نصيب.

والعجب أنهم بنوا شبهتهم تلك على ما يلي:

- ١- أن نظام الحكم الإسلامي الشوري المبني على إرادة الأمة و اختيارها قد انقطع بعد الخلفاء الراشدين وأصبح الملك عضواً ثامن جبرئيل.
- ٢- الظلم الذي كان سمة بعض الأنظمة الحاكمة على امتداد التاريخ الإسلامي.

ولننفخ هذه الشبهة ينفي أن يعلم ما يلي:

أولاً: إن نظام توريث الحكم الذي أخذ به بنو أمية ومن بعدهم من الخلفاء والسلطانين هو نظام متوج للملك عضوض وجيري، ويمثل خالفة واضحة لطريقة تنصيب الحاكم في الإسلام، لكن يظل جزءاً من كل، ولبنة نزعـت من بناء محكم، نعم هي لبنة مهمة ومؤثرة لكن البناء لم يزل قائماً وبقوـة على امتداد تاريخ الإسلام، وأعني بالبناء أن المرجعية في شؤون الحياة المختلفة كانت في أغلب الأحيان للإسلام، وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هما المرجع للأمة في شؤونها، ولم يسقط هذا البناء إلا بعد أن وطئت قدمـا المستخرب العالمي ديار الإسلام ونـحـيـ الحـكـمـ بالـقـرـآنـ وـسـنـةـ سـيـدـ الـأـنـامـ - عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ - وأنـشـأـ المحـاـكـمـ التـيـ تـحـكـمـ بـالـقـوـانـينـ الـبـشـرـيـةـ، وـأـضـعـفـ الـمـحـاـكـمـ الـشـرـعـيـةـ أوـ الـغـاهـاـ، وـنـحـيـ الـإـسـلـامـ عـنـ تـنـاوـلـ شـؤـونـ السـيـاسـةـ، وـالـاـقـتـصـادـ، وـالـإـعـلـامـ، وـالـفـكـرـ، وـالـثـقـافـةـ، وـأـتـىـ بـجـمـلـةـ مـنـ الـحـكـامـ كـانـتـ صـلـتـهـمـ بـالـإـسـلـامـ ضـعـيفـةـ أوـ مـعـدـوـةـ سـاـهـمـوـاـ فـيـ تعـطـيلـ مـسـيرـ الـحـكـمـ إـسـلامـيـ أوـ إـضـعـافـهـ وإـمـاتـهـ أـثـرـهـاـ.

ثانياً: إن المستقر في تاريخ الإسلام استقراء تاماً واعيناً متأنياً ليخرج بقناعة تامة أن هذه الأمة سـيـسـتـ بـالـإـسـلـامـ، وـكـانـ الـإـسـلـامـ هـوـ

مدار حياتها والقائم على شئونها، والمهيمن على حركتها، ولتوسيع ذلك لا بد من ذكر التالي:

أ- النظام القضائي:

كان القضاء -في الجملة- مرتبطاً بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، وكان القضاء في أغلب أحيانه مستقلّاً عن السلطة التنفيذية، وضرب كثير من القضاة على مدار التاريخ أروع المثل على النزاهة والاستقلال والعدل.

ب- النظام الاقتصادي:

كانت المعاملات المالية تخلو أو تكاد تخلو من الربا، والرابون من اليهود وغيرهم في خبابا الزوايا لا يجرأون أن يجاهروا بصنعيهم، ولم يتغير هذا إلا في العصر الحديث، وللسبيطه الاستخراجية العالمية على بلداننا في العصر الحديث السبب الأكبر في هذا، كما بينت آنفاً.

ج- النظام السياسي:

ال الخليفة أو السلطان ومن يساعدهما من الوزراء والأمراء كانوا -في الجملة- مسلمين مخلصين وإن تناولوا شيئاً من الشهوات الحرام أو وقعوا في شيء من الشبهات الضالة، والسياسة الخارجية كانت تدور حول الإسلام ونصرته وإعداد العدة للجهاد إذا لزم الأمر واحتدم الخطب، وكان الحكماء على سوء في بعضهم -مناصرين للإسلام، مخلصين، لا يفكرون في خذلان المسلمين ولا تضييع شعائر الدين.

وكان بين الساسة خلاف لكنه لا يصل إلى حد خيانة المسلمين وتضييع الإسلام الذي يأخذ به كل منهم، والخلاف بين الحكماء السنة زمن ضعف

استilage العباسية وانفراط عقدها مثال على هذا.^(١)

فما أعظم الفرق بين حكام المسلمين آنذاك وبين أكثر حكامنا اليوم.

وكانت الشورى قائمة - في الجملة - وأهل الخل والعقد متوازيرين، وإن نحّاهم الحكام - في بعض الأحيان - فإنها تَحْوِم عن الشورى الملزمة، أما الشورى المُعْلِمَة فكانت لا تكاد تُترك على مدار تاريخ الإسلام، وبين الفقهاء خلاف معروف في كون الشورى معلمة أو ملزمة، وإن كنت أميل إلى كونها ملزمة خاصة في العصور المتأخرة التي ضعف فيها سلطان الدين على النفوس.

د. نظام الحسبة:

كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاشياً في الدولة الإسلامية، ولو خالظهه ضعف في بعض الأزمنة لكنه ظل قائماً، مرعيّ الجانب، موفور المهابة، يتناول كثيراً من جوانب حياة المسلمين، ويقوم كثيراً من خللهم وضعفهم، وكانت المذكرات مستورة، فمن ذا الذي يجرؤ على فتح حانة للخمور، أو بيت للدعارة، أو مكان للتمار على وجه الاستعلان والظهور؟! ومن كان يفكّر أن يكتب الكتب في التهويين من شأن الإسلام وتقويض أركانه وإهانة علمائه ودعاته كما يحصل اليوم؟!

إن كل هذا الذي ذكرته كان قائماً وبقوة في الألف سنة الأولى لحكم الإسلام، ثم أخذ في التقهقر والضعف لا زوال، إنما يتقهقر في منطقة ويقوى في أخرى، لكن الخط البياني كان إلى نزول، لكن ليس إلى زوال، ثم أخذ في

(١) يستثنى من هذا بعض خونة الحكام في الأندلس وفي بعض البلاد الأخرى.

الصعود منذ ثلاثين سنة خلت تقريرًا إلى اليوم، وكل المؤشرات تدل على أنه في صعود مستمر ولله الحمد إلى أن يبلغ غايته.

ثالثاً: إن كثيراً من الدول قامت بنصرة الإسلام ورعايته وحياطته، والعمل به في الأرض، فالدولة الأموية التي يتهمها أهل الشبهات اليوم بأنها فرطت في الحكم بالإسلام بتوارثها الملك هي الدولة التي نصرت الشريعة وفتحت البلاد، وأنارت قلوب ملايين العباد، وأزالت عنهم الشرك والظلم والظلام.

وكذلك فعل بنو العباس في كثير من مراحل حكمهم.

وكذلك فعل الأيوبيون والملاليك.

ودولة نور الدين زنكي^(١) التي كانت هدية من الله لأهل الإسلام.

وكذلك الحال في زمان كثير من سلاطين السلاجقة وبنو عثمان.

والدولة المغولية في الهند وسيدها أورانج زيب عالمكير^(٢) الذي حكم

(١) نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر، أبو القاسم التركي، السلطان الكبير العادل الراشد، صاحب المعارك الكثيرة مع الصليبيين، وهو الذي مهد الطريق لبيت المقدس لخلافته من بعده صلاح الدين رحهما الله تعالى. عدّه بعض المؤرخين سادس الخلفاء الراشدين لصفاته فيه لم تكن للملك في الإسلام بعد معاوية رض. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ٥٦٩. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٥٣١ وما بعدها.

(٢) الإمام المجاهد المظفر عيي الدين محمد أورانج زيب عالم كير ابن شاهجهان. سلطان المغول في الهند. وحاكمها قرابة خمسين سنة. كان عادلاً شجاعاً، قوياً، مرهوباً بالجانب. نشر الإسلام في معظم القارة الهندية التي دانت له كلها ولم تدين لأحد = من أباطرة المغول قبله. له فضائل كثيرة. ولد سنة ١٠٢٨ وتوفي بالدكمن من أرض

المهند حسين سنة أعادت للأذهان ذكرى حكم الراشدين.
 والغزنوي^(١) وسلطنته الباهرة في أفغانستان.
 وابن تاشفين^(٢) وسلطنة المرابطين.
 ولسلطين الموحدين في المغرب.
 ومالك إفريقيا وسلطنة ابن فودي^(٣).
 ولسلطنة المهدى^(٤) وخلفائه في السودان، على دَخْن فيها.

المهند سنة ١١١٨. انظر ترجمته في «الإعلام بمن في تاريخ المهند من الأعلام»: ٦/١٢٩ - ١٤٣

(١) أبو القاسم محمود بن سُبْكُتِكِين التُركي، الملك يمين الدولة، فاتح المهند، وصاحب خراسان. رزق النصر والتمكين في جهاده ضد كفرة المندوب على وجه عجيب، توفي بغزنة - من أفغانستان اليوم - ودفن بها سنة ٤٢١ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٧/٤٨٣ وما بعدها.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين البربرى الملهم، أمير المرابطين والمنشى الحقيقى للدولة. أنشأ مراكش في المغرب وجعلها عاصمة، وكانت له اليد الطولى في نجدة مسلمي الأندلس وثبت الإسلام فيه بعد انتصاره على الإسبان في معركة الزلاقة سنة ٤٧٨. توفي سنة ٥٠٠ وهو قريب المائة رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/٢٥٢ وما بعدها.

(٣) داعية عالم مجاهد، من قبائل القولان - الفلاطة - ولد سنة ١١٦٨/١٧٥٤ في مملكة جوبيرا إحدى ممالك بلاد الموسما، ودرس العلم الشرعي حتى صار مجاهداً في المذهب المالكي، وتسامع به الناس وأقبلوا على دورسه حتى صار له أتباع شمروا بالجماعة، وصار هو يلقب بالشيخ، ومجاهد بأتباعه الكفار والضلال حتى استطاع أن يقيم دولته الإسلامية قوية عاصمتها سوكوترو في نيجيريا اليوم وامتدت حدود دولته فيها يعرف اليوم بنيجيريا وأجزاء من تشاد وأجزاء من الكاميرون، وأقام دولته على النظام الإسلامي. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٣٢/١٨١٧ وولي أهل الخل والعقد ابنه محمدًا بن مكاهن. انظر ترجمته في «عظماء منسيون»: ١/٢٧ - ٣٩.

وكثر من حكام اليمن.

وغير أولئك كثير من المالك والسلطان والإمارات التي قامت على الإسلام وبالإسلام، وضربت أروع المثل في تحكيم الكتاب والسنة.

أفإن قامت أكثر تلك الدول بتوريث الملك يقال إنها لم تكن تحكم بالإسلام، اللهم إن هذا تلبيس مقرoron بتلبيس وغش وخداع.

وابعًا: قد قامت في الإسلام دول لا تأخذ بمبدأ التوريث وقام عليها الزيدية والإباضية، فلا يورثون الحكم إلا من يرونهم أصلحهم وأعد لهم وأجدرهم بتولي مقاليد الحكم، وهذا حدث في دولة الزيدية في اليمن وجilan وطبرستان وتلك البقاع، وبعض مدد حكم الإباضية وغيرهم من الخوارج، وقامت دول على هذا الأساس بل هناك تجارب لأهل السنة فسلیمان بن عبد الملك^(٢) لم يورث أولاده ولا إخوانه إنما ورثها عمر بن عبد العزيز، وكان أصلاح أهل بيته بل ربها كان أصلح المسلمين في زمانه لتولي مقاليد الحكم.

(١) محمد بن أحمد بن عبدالله، المهدي السوداني. ولد في جزيرة تابعة لدقهلة في السودان سنة ١٤٥٩/١٢٤٣ من أسرة حسينية النسب. تعلم على يد أبيه ثم درس في الخرطوم، ثم انقطع في جزيرة أبا في النيل الأبيض ١٥ عاماً للعبادة والتدرس وكثير مریدوه واشتهر بالصلاح. ثم ادعى المهديّة سنة ١٢٩٨. وصار أتباعه يدعون إلى الجهاد، ودخل في معارك مع المصريين وقوادهم من الانجليز فانتصر عليهم جميعاً ودان السودان كله له، وكان خطيباً فصيحاً قوياً الحجة. مات في أم درمان سنة ١٣٠٢/١٨٨٥ متأثراً بالجذري وقد أوصى بالخلافة من بعده لعبد الله التعايشي. انظر «الأعلام»: ٦/٢٠.

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي الخليفة. أبو أيوب. توفي سنة ٩٩، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥/١١١ وما بعدها.

والمؤمنون^(١) ولـ ولـ العهد عـ علي بن موسى الرضا^(٢)، وهو ليس من العباسـيين أصلـا بل هو من ذرـية النـبي ﷺ وأـحد ثـقـات أـهـل السـنة والـجـمـاعـة ولو لا أنه مـات قـبـل المؤـمنـون لـتـولـي الـخـلـفـة.

والمـالـيكـ كانوا يـولـونـ فيـ الـغالـبـ الأـصلـحـ مـنـهـمـ أـوـ الأـقوـىـ وـلاـ يـعـرـفـونـ نـظـامـ الـورـاثـةـ هـذـاـ إـلاـ نـادـرـاـ وـقدـ اـمـتـ حـكـمـهـمـ قـرـابـةـ ثـلـاثـةـ قـرـونـ.

إـذـنـ كـانـتـ هـنـاكـ تـجـارـبـ لأـهـلـ السـنةـ وـالـجـمـاعـةـ وـغـيرـهـمـ وـهـيـ تـجـارـبـ قـوـيـةـ فـيـ عـدـمـ تـورـيثـ الـحـكـمـ، فـالـتـعـيمـ غـيرـ صـحـيـحـ وـلـاـ تـسـاعـدـهـ الحـقـائـقـ التـارـيخـيـةـ، وـلـاـ الـكـتـابـاتـ السـيـاسـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ.

ثـمـ إـنـ آنـظـمـةـ الـحـكـمـ الـإـسـلـامـيـ كـانـتـ تـأخذـ بـالـشـورـيـ -مـُعـلـمـةـ كـانـتـ أـوـ مـلـزـمـةـ- فـيـ أـغـلـبـ أـوـقـاتـهـ، وـكـانـتـ بـجـالـسـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ -سـوـاءـ أـكـانـتـ رـسـمـيـةـ أـمـ شـعـبـيـةـ- قـائـمـةـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ إـلـىـ الـهـنـدـ، وـكـانـ أـكـثـرـ الـعـلـمـاءـ يـنـصـحـونـ الـحـكـامـ وـيـتـعـلـدـونـ عـنـ دـنـيـاهـمـ، وـيـتـقـرـبـونـ إـلـىـ اللـهـ -تـعـالـىـ- بـمـوـاقـعـهـمـ الـصـلـبةـ الـتـيـ تـسـدـدـ الـحـكـامـ وـتـعـيـدـهـمـ إـلـىـ رـشـدـهـمـ، وـالـأـمـلـةـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـحـصـرـ، وـلوـ ذـهـبـ أـدـونـ أـمـلـةـ عـلـىـ كـلـ مـاـ قـلـتـ فـيـ سـيـطـوـلـ الـمـقـالـ وـيـنـقـلـ بـإـلـىـ كـتـابـ كـبـيرـ.

أـمـاـ المـظـالـمـ وـالـمـظـاـهـرـ الـتـيـ تـخـالـفـ النـظـامـ الـإـسـلـامـيـ وـالـتـيـ كـانـتـ قـائـمـةـ فـيـ

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد، أبو العباس الهاشمي، توفي سنة ٢١٨هـ، وكان مجـهـداـ عـاقـلـاـ لـوـلاـ هـفـوتـهـ بـدـعـوـتـهـ لـخـلـقـ الـقـرـآنـ، وـكـانـ عـالـمـاـ بـالـشـعـرـ وـالـأـدـبـ. انـظرـ: المصـدرـ السـابـقـ: ١٠ / ٢٧٢.

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن الماشمي العلوي الرضي، توفي سنة ٢٠٥هـ رحمـهـ اللـهـ تعـالـىـ. انـظرـ تـرـجـهـ فـيـ «ـسـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ»: ٩/ ٣٨٧ـ وـمـاـ بـعـدـهـ.

العهود الإسلامية فأمر لا ينكر لكن ليس على وجه التعميم والشمول، ثم إنها كانت مظالم مغمورة في بحر من الحسنات، فلماذا يركز عليها وتترك الجوانب المضيئة الكثيرة في تاريخ الحكم الإسلامي؟!!

يتضح إذاً أن المقوله التي تقول بأن الإسلام لم يُعمل به إلا زمن الراشدين هي مقوله خداعة، لا تستند إلى دليل صريح أو تاريخ صحيح، وأنها مقوله اجتزائية تزيد أن تهدم البناء كله بسبب خلل بعض لبناته، وهي على كل حال مقوله اجتزائية لا نشى في قائلها ولا مروجيهما ونتهم نياتهم وبواعثهم، أو نقول إن بعضهم مخدوع أو جاهمل^(١).

٧- الإطلاع على الكتب التي سردت التاريخ:

هناك تأليف كثيرة جداً سردت تاريخ الإسلام، على اختلاف في طرائق سردها، ولبيداً طالب التاريخ بالكتب الحديثة بعيدة عن الاستطراد والخشوع وذلك نحو «التاريخ الإسلامي» للأستاذ محمود شاكر ياسين.

ثم يتدرج الطالب إلى الكتب القديمة، ومن أحسنها «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي، و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير^(٢).

٨- الإطلاع على الكتب التي تناولت دراسات محددة من التاريخ:

وهذه كتب مهمة، بذل فيها مصنفوها جهداً مشكوراً في بيان جوانب معينة من التاريخ، أو لدراسة ظواهر محددة، فمن تلك الكتب

(١) انظر للاستزادة كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي «تاریخنا المفترى عليه»: ١٥ - ٣١، ٤٦، ١١٩.

(٢) سأورد مناهج المؤرخين برسالة قادمة إن شاء الله تعالى.

التي يجد الاطلاع عليها:

- مقدمة ابن خلدون، وهي مقدمة وضعها لكتابه الكبير في التاريخ، وهي نافعة جدًا، واجماع المؤرخين من مسلمين وغيرهم قائم على جلالتها وعظمها وريادتها وأهميتها، وأيضاً اتفاق أكثر المؤرخين من مسلمين وغيرهم قائم على أن ابن خلدون هو أعظم مؤرخ ظهر في تاريخ البشرية^(١).

وقد قال فيه المؤرخ أرنولد توينبي^(٢):

«وضع فلسفة للتاريخ هي -بلا مراء- أعظم عمل من نوعه ابتدعه عقل في أي مكان أو زمان»^{(٣) !!}

وقال فيه المؤرخ روبرت فلت^(٤):

«إنه لا العالم الكلاسيكي ولا العالم المسيحي الوسيط قد أنجب شيئاً له في فلسفة التاريخ، هناك من يتفوقون عليه كمؤرخ -حتى بين المؤلفين العرب- أما كباحث نظري في التاريخ فليس له مثيل في أي

(١) انظر في هذا كتاب «المسلمون وكتابة التاريخ»: ١٣٩ - ١٤٦، وكتاب «تفسير التاريخ علم إسلامي»: ١٣٨ - ١٤٠.

(٢) ولد سنة ١٨٨٩ في لندن ودرس اليونانية واللاتينية في جامعة أكسفورد. وتقلب في مناصب جامعية وسياسية. وله عدة كتب مهمة ونظريات رائجة في الغرب توفي سنة ١٩٧٥. انظر «ويكبيديا» في شبكة المعلومات الإنترنت.

(٣) «تفسير التاريخ علم إسلامي»: ١٤٠.

(٤) باحث في الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع. من أسكوتلندا. ولد سنة ١٨٣٨. ودرس في جامعة جلاسكو. وتقلب في عدة مناصب جامعية. توفي سنة ١٩١٠. انظر ترجمته في «ويكبيديا» على شبكة الإنترنت.

عصر أو قُطْر حتى ظهر فيكو^(١) بعده بأكثر من ثلاثة قرون، لم يكن أفلاطون^(٢) أو أرسسطو^(٣) أو سانت أوغستين^(٤) أنداداً له، ولا يستحق

(١) جيوفاني باتيستا (جيامباتيستا) فيكو أو فيغو. ولد سنة ١٥٧٩ و ١٦٦٨ . فيلسوف سياسي إيطالي وبلير ومؤرخ. ناقد للعقلانية الحديثة ، ومدافع عن العصور الكلاسيكية القديمة. توفي سنة ١١٥٦ ١٧٤٤ . انظر «ويكيبيديا» على شبكة الانترنت.

(٢) أفلاطون (باللاتينية: Plato) ويعني اسمه: «واسع الأفق». ولد سنة ٤٢٧-٤٢٨ ق.م، وتوفي سنة ٣٤٨-٣٤٧ ق.م . فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضي، كتب عدداً من الم对话ات الفلسفية، وبعد مؤسساً لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي. معلم سocrates وتلميذه أرسسطو. وضع أفلاطون الأساس الأولي للفلسفة الغربية والعلوم. كان تلميذاً لسocrates، وتأثر بأفكاره. برع في أفلاطون وأسلوبه في حماوراته السocraticية (نحو ثلاثين حماورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة: المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا. انظر «ويكيبيديا» على شبكة الانترنت.

(٣) أرسسطو أو أرسطوطاليس ولد سنة ٣٨٤ ق.م . ، وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م . فيلسوف يوناني قديم كان أحد تلاميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، وعبادة الحيوان، والأحياء، وأشكال الحكم. وهو صاحب المنطق الأرسطي.

(٤) كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي - لاتيني. ولد في طاغاست سنة ٣٥٤ م ، في بلدة نوميديا التي كانت مقاطعة رومانية ، وهي الآن بلدة سوق أهراس، بالجزائر ، من أمه الأمازيغية القديسة مونيكا وأبيه الوئي باتريسيوس الإفريقي- اللاتيني. تلقى تعليمه في روما وتعتمد في ميلانو. مؤلفاته - بما فيها الاعترافات ، التي تعتبر أول سيرة ذاتية في الغرب - لا تزال مقررة في شتى أنحاء العالم. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعدد الكنيستان الكاثوليكية والأنجليكانية قديساً، وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلح الرهبان الأوغرطيين. يعده العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفينيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص. وتعتبره بعض الكنائس الأرثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديساً. توفي سنة ٤٣٠ .

غيرهم أن يُذكر إلى جانبه...»^(١)!!

- «دراسات تاريخية» للأستاذ الدكتور عياد الدين خليل، وبالنظر إلى موضوعات الكتاب يظهر ما أريده، فقد جاء فيه:
 - مقاومة المدن الإسلامية للغزاة.
 - محاولات انقلابية في تاريخنا (يقصد الإصلاح الذي جاء به عمر بن عبدالعزيز ونور الدين زنكي).
 - شيء عن جاهلية العرب.
 - عين جالوت: الواقعه والمغزى.
 - دراسات بلدانية تراثية.
 - فلسطين في الأدب الجغرافي العربي.
 - معطيات المستشرقين إزاء السيرة.
- كتاب «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريف العلوم» للأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحي^(٢) رحمه الله

(١) «تفسير التاريخ علم إسلامي»: ١٤٠.

(٢) ولد سنة ١٣٥٣ / ١٩٣٥ في المنوفية بمصر. انتقل إلى القاهرة في الثامنة من عمره، والتحق بمعهد القاهرة الديني التابع للأزهر وارتقي في الطلب حتى حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة. وهو أحد المحققين الكبار. وله مصنفات وتحقيقات ومقالات نافعة. عمل في جامعة الدول العربية خبيراً في معهد المخطوطات العربية بها، ودرّس في عدة جامعات مصرية وسعودية. توفي سنة ١٤١٩ / ١٩٩٩، رحمه الله تعالى. انتظر ترجمته في ويكيبيديا في شبكة المعلومات «الإنترنت».

- تعالى، وهو كتاب عظيم النفع على وجائزه.
- «حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي» للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.
- «المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي» للأستاذ الدكتور عبدالعظيم الدibe، رحمه الله تعالى.
- «علم الطبقات: حقيقته وقيمتها العلمية والحضارية» للأستاذ الدكتور السيد محمد نوح^(١). ويقصد بالطبقات ما اصطلح عليه المؤرخون من جمع المعاصرین ووضعهم في طبقة «مدة» واحدة، كصنف الإمام الذهبي عندما قسم الشخصيات الواردة في كتابه «سير أعلام النبلاء» إلى أربعين طبقة.
- «فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية» للأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس.
- ٩- الإطلاع على ميزات التاريخ الإسلامي:
- للتاريخ الإسلامي ميزات ليست لغيره من التواريχ تفرد بها وعزّ وساد، فمن ذلك:
- أ. الوثائق بروايتها:
- فهو التاريخ الوحيد في الدنيا -فيما أعلم- المروي أصله بالإسناد، وهذه

(١) هو أستاذ محدث داعية مصرى معروف، له عدة مصنفات نافعة. سكن الكويت ودرس في الأزهر وجامعة الكويت وجامعة الشارقة. توفي في الكويت سنة ١٤٢٧/٢٠٠٧.

ميزة جليلة تمكّن من نقدّه، والوقوف على مواطن القوّة والضعف منه، بينما ليس عند الأمم الأخرى إسناد حتى في شئون دينهم.

بـ. الدقة في روایته:

فهو التاريخ الذي روى أكثره على مدار القرون علماء شرعيون ثقات، وهذا الأمر لا يوجد عند الأمم الأخرى.

جـ. الامتداد في عمق الزمان:

تاريخنا - أمة الإسلام - موصول بتواريχ الأنبياء والمرسلين، فآمة النبي ﷺ هي موصولة بما قبلها من الأمم، وهذا هو الذي جاء في كتاب الله - تعالى - في عدة آيات، فليس تاريخنا منبتاً عما قبله بل هو درة فاخرة في عقد جواهر هو واسطتها.

دـ. الشمول العجيب والسعنة والإحاطة:

ليس من أمّة من الأمّ لها تاريخ شامل لكل جوانب حياتها، ولكل منْ كان له علم أو فن أو عمل أو وظيفة فيها - على وجه الإجمال حيناً والتفصيل أخرى - مثل ما للأمة الإسلامية بل عشر عشرين مالها (أي واحد بالمائة)، وقد عَدَ الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - أربعين نوعاً من كتب التاريخ !! وقد فاته بعضها مما استدركه عليه بعض العلماء، وهذا يوضح ما لتاريخنا من شمول وسعة وإحاطة.

هذا والأمم - التي بيدها كتب حرفه ذات أصل سماوي - من حولنا لا تكاد تعرف شيئاً عن تواريχ أنبيائها دع عنك عظماءها ومقدميها على مدار القرون.

ولئن اطلع مطلع على كتب تاريخ أمتنا الكثيرة المدهشة التي تناولت الرجال على اختلاف وظائفهم ومهامهم، وتاريخ البلدان على اتساعها، وتاريخ المهن والحرف، وتاريخ الدول والإمارات، وتاريخ الغزوات والحروب، وتاريخ الحضارة الإسلامية إلى آخر هذه الأنواع، لئن اطلع مطلع على ذلك فسيمتلىء دهشة وإجلالاً وتعظيمًا^(١).

هـ. الريادة:

فالمؤرخون المسلمون فاقوا جميع مؤرخي العالم فيما صنفوه كما وكيفًا وسبقاً؛ فإن الغرب لم يكن له مؤرخون كبار إلا في أواخر القرن الحادى عشر الهجري/السابع عشر الميلادى، بينما سبقهم كبار مؤرخى الإسلام بستة قرون أو أكثر.

وـ إفراد التاريخ علمًا من العلوم:

لم يكن التاريخ معدوداً في العلوم قبل الإسلام بل كان يُعد من جملة المسليات والملهيات، وهو سرد لأحداث الزمان بدون منهجة علمية، وقد استطاع مؤرخو المسلمين أن يجعلوه علمًا مستقلًا بذاته، له قواعده ومنهجه في البحث منذ وقت مبكر نسبيًا من تاريخ الإسلام، ثم بلغ غاية النضج في المؤلفات المتأخرة مثل مقدمة ابن خلدون^(٢).

(١) سياق مزيد بيان لهذا في الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى، التي هي بعنوان «الترجم وأثرها في السلوك الإنساني».

(٢) قد ورد في الرسالة الأولى السابقة - كيفية قراءة التاريخ وفهمه - شيء مما يمكن عده من ميزات التاريخ الإسلامي، وذلك تحت عنوان: خصائص التاريخ الإسلامي، فليراجعه من شاء هنالك.

-١٠- إحسان عرض التاريخ:

المقصود بهذا هو ألا يسرد المؤرخ أحداث التاريخ سرداً مجرداً من عبرها وعظاتها، ولا يكتفي بعرض تواريХ الأمم دون الوقوف على مواطن الفساد فيها، وذلك حتى يكون العرض التاريخي معييناً في التقويم والتوجيه للمجتمعات، ومثال ذلك حين الحديث عن حضارة المصريين القدماء، فإن «المنهج العلمي في البحث التاريخي» هو الذي أثبت بواسطته أن باني هذا الهرم أو المشهد أو أن صانع القطعة الفلانية هو الفرعون الفلانى، فوظيفة المنهج العلمي هي تحديد الشخص الذي صنع الحدث وكفى، أما الحكم على هذا العمل بالخطأ أو الصواب، وإعطاءه القيمة الحقيقة له، وبيان مدى اتساقه مع المنهج الرباني ومع وظيفة الإنسان وتحقيق كرامته وإنسانيته فليس من وظيفة منهج البحث بمفهومه الاصطلاحي، إنما هو آت من التصور الذي يحمله الباحث عن الإنسان:

من هو؟ ما وظيفته في الكون وهذه الحياة؟ مانا ياته؟ وما هو المصير الذي يؤول إليه بعد الموت؟ ففي ظل التصور الإسلامي - الذي يحدد أصل هذا الإنسان وطبيعته، ويحدد وظيفته في هذه الحياة وهي القيام بالعبودية لله، وعمارة الأرض وفق منهج الله الذي جاء به رسالته - ينظر إلى آثار هذه الحضارة الفرعونية هل حققت شيئاً من وظيفة الإنسان الأساسية؟ ثم ينظر إلى من ترك هذه الآثار هل كان محققاً لمنهج الله عابداً له أم كان طاغية جباراً مذلاً للإنسانية في سبيل

مجده الشخصي وتحقيقه شهواته ورغبات نفسه...»^(١).

لكن المنهج الغربي في البحث والعرض يُغفل كل هذا ويقف عند القشور ويترك اللب، وهذا فإن دراساته التاريخية لا تكاد تعالج الواقع، بل هي غير مهيئة لهذا، فلذلك تجدهم مولعين بالأحجار والمباني دون النظر إلى المعانى، ويكترون من الوقوف على دقائق وتفاصيل لا تكاد تغنى شيئاً:

«إن مثل هذه الدراسة الأكاديمية الجافة لا توقظ في القلب شعوراً ولا تنفح فيه حياة، ولا تنير البصائر لتأمل وتفكر و تستفيد وتتعرف سِنن الله وأياته في الأنفس والأفاق، كما أنها لا تتمشى مع المنهج القرآني في عرضه آثار السابقين و طلبه منا أن نسير في الأرض و ننظر في سيرنا نظر المستبصر المستفيد، الباحث عن أسباب الدمار الذي حل بأصحاب تلك الآثار:

﴿فُلِّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩].
وقال تعالى: ﴿أَهَلَّكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مَنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [القصص: ٥٨].

فالله يطلب منا أن يكون سيرنا في الأرض وبحثنا عن الآثار و دراستها بغرض إيقاظ القلوب والبصائر وبعث الحياة فيها»^(٢).

ولذلك جاءت دراسات العرب والمسلمين الذين سلكوا المنهج الغربي الناقص العقيم في الدراسات التاريخية ناقصة عقيمة جافة لا تكاد تصلح فساداً

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١١٤.

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: ١٩١.

ولا تسد خرقاً، والناظر للمجلات التاريخية الصادرة عن كليات التاريخ في الجامعات العربية والإسلامية -في أكثريتها الكاثرة وأغلبيتها الساحقة- يجدها صادرة عن هذا المنهاج العقيم الناقص الذي قلدننا فيه المنهاج الغربي، فلم يُتفع بتلك الجهود المأهولة التي بُذلت من قبل آلاف أساتذة التاريخ منذ بدأت تلك الدراسات العقيمة إلى يومنا هذا إلا قليلاً.

ملحوظ مهم في تدريس التاريخ في المدارس والجامعات:

كل الطلاب يدرسون مادة التاريخ، وهي من أكثر المواد إملاً للطلاب؛ وذلك لأنها تُدرّس بطريقة تخلو -تقريرياً- من التشويق وحسن العرض، ويغلب عليها السرد، وتخلو من القصص النافعة، والأخبار المائعة، واستخراج العبر والعظات، والتنبيه على مواضع الخلل والخطأ، وإذا أُريد للطلاب أن يستفيدوا من دراسة التاريخ فلا بد من إصلاح المناهج وتعديل الكتب.

وهناك جوانب عُوار أخرى في طريقة عرض مادة التاريخ وتدريسها في المدارس والجامعات ذكرها د. فاروق فوزي^(١) في إجابته عن سؤال في هذا الباب فقال:

«تدريس التاريخ يحتاج إلى إعادة نظر، ليس من ناحية طرق التدريس فحسب، بل من حيث المادة والمواضيعات؛ وذلك أن مادة التاريخ تؤكد على الإقليمية، ولا تكاد تعطي للطالب ما يكفي عن الأجزاء العديدة من بلاد العرب والإسلام،

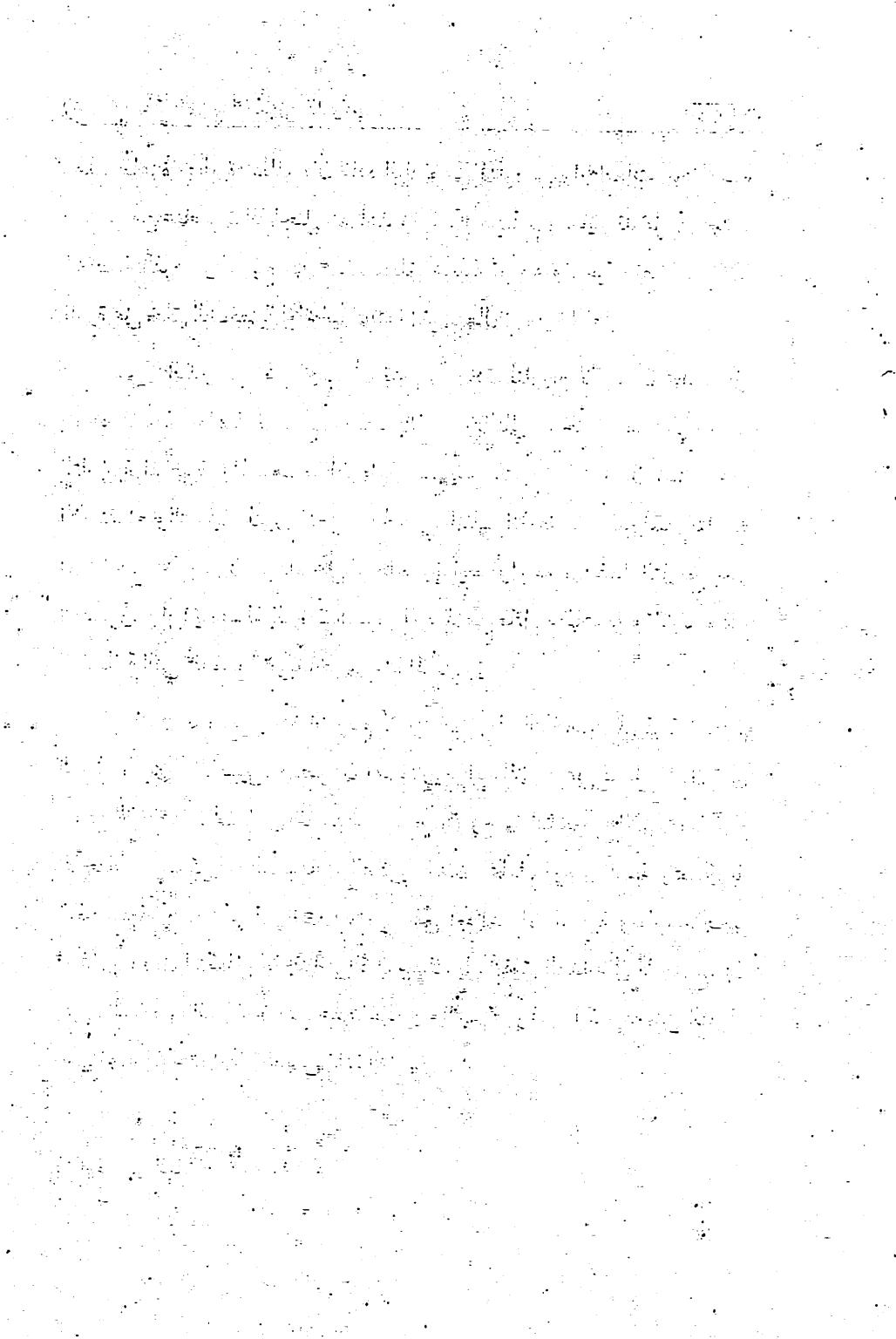
(١) فاروق عمر فوزي أستاذ تاريخ عراقي موصلـي، ولد سنة ١٩٣٨. حصل على البكالوريوس من قسم التاريخ جامعة بغداد، والدكتوراه من لندن من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية. عين مدرساً في كلية الآداب في جامعة بغداد ودرس في عدة جامعات. انظر: «قراءات ومراجعات نقدية»: ١٤.

وهذه ظاهرة خطيرة؛ ذلك لأن مادة التاريخ في المدارس والجامعات مادة مهمة وعنصر من عناصر ثقافة الجيل الصاعد لما يقدمه من قيم ومعايير تدخل في صلب شخصية الفرد، والتاريخ من هذا المنطلق عملية توجيه وتوعية وتعبئة متكاملة قادرة على خلق الشخصية الإيجابية ذات الأثر الفعال في حياة الأمة.

فطرق التدريس التي يجب أن تتبع في مادة التاريخ لا بد أن تهدف إلى بلورة فلسفة خاصة توضح موقف الفرد وبالتالي المجتمع من الأحداث التاريخية الماضية والمعاصرة، إن طرق تدريس التاريخ لا بد أن تستند على الاستقراء والتحليل لتبيان المغزى الحقيقى لتلك الأحداث، فدراسة التاريخ الإسلامي لا بد أن تؤكد على وحدة وترابط واستمرار هذا التاريخ عبر العصور، وإبراز أصالة التراث العربي الإسلامي بكل مظاهره، وتأكيد صفتة الإنسانية التي أفادت شعوباً أخرى عدا المسلمين.

إن طرق تدريس مادة التاريخ لا بد أن تجعل الطلاب يتذوقون تراثهم الثقافي الشري والأصيل، ويعتزون به، فتاريخ الإسلام -على سبيل المثال- في عصر الازدهار الحضاري الوسيط يوضح أن وحدة الشعوب الإسلامية تجاه الأخطر العسكرية والتحديات الفكرية كانت عامل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية، وإن الحرية كانت أساس رقي الجماعة الإسلامية وتطورها نحو الأفضل، وإن التكافل الاجتماعي كان يهدف إلى تحقيق العدالة في المجتمع، إن طرق التدريس التي تُبرز مثل هذه المعايير والقيم - وغيرها كثير - هي الطرق التي يجب أن تعتمد في تدريس مادة التاريخ»^(١).

(١) المصدر السابق: ١٤٣، ١٤٤.



خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه
وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كانت هذه الرسالة تلبية لدعوات متكررة لكتابتها، وقد أتيت
على مباحثها بإيجاز، متعرضاً للرسائل المسائل، عازياً إلى الكتب لمن أراد
الوقوف على التفاصيل والدقائق، وهذا الذي أراه مناسباً لأهل العصر،
والله أعلم، لكن هذا الإيجاز لا بد أن يعده مريد التخصص في التاريخ
بمثابة المفتاح المعين له على فتح باب الفهم لهذه المادة الصعبة المشعبة
التي لا بد من إطالة النظر في مصادرها والغوص في حفاظها،
والاغتراف من شتى مناهلها قبل التصدي لأمر خطير، وعمل جليل
ألا وهو دراسة التاريخ الإسلامي وإحسان فهمه ثم إحسان عرضه
على الناس.

وفي الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى سأتحدث في «الترجم
وأثرها في السلوك الإنساني».

والله الموفق، وهو المستعان، وعليه التكلال، وصلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
علـى سيدنا محمد وآلـه وصحـبه أـجـمعـينـ، والـحـمدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ.

المصادر والمراجع

- ﴿«أقام الأعلام»: نزار أباظة ومحمد رياض الملاح. نشر دار صادر. بيروت. الطبعة الأولى. سنة ١٩٩٩.
- ﴿«الأعلام»: خير الدين الزركلي. نشر دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٨٠.
- ﴿«التاريخ والمؤرخون العرب»: د.السيد عبدالعزيز سالم. نشر دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٨١.
- ﴿«كتمة الأعلام»: محمد خير رمضان يوسف. نشر دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الثانية سنة ١٤٢٢/٢٠٠٢.
- ﴿«تفسير التاريخ علم إسلامي، نحو نظرية إسلامية في تفسير التاريخ»: د.عبدالحليم عويس. نشر دار الصحوة. القاهرة.
- ﴿«حوارات»: أبو القاسم سعد الله. نشر دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى. سنة ٢٠٠٥.
- ﴿«دراسات في السيرة النبوية»: أ. محمد سرور بن نايف زين العابدين. نشر دار الأرقام. لندن. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧/١٩٨٦.
- ﴿«سيد قطب والتفسير الإسلامي للتاريخ»: د.عmad الدين خليل.
- ﴿بحث منشور بمجلة المسلم المعاصر العدد ٦٢.
- ﴿«سير أعلام البلاء»: الحافظ الذهبي = محمد بن أحمد (ت ٧٤٨). نشر مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ﴿«السيرة النبوية الصحيحة»: د. أكرم ضياء العمري. نشر مكتبة العلوم والحكم. المدينة النبوية المنورة. الطبعة السادسة سنة ١٤١٥/١٩٩٤.
- ﴿«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية»: د. مهدي رزق الله

- أحمد. نشر مركز الملك فيصل. الرياض. الطبعة الأولى سنة ١٤١٢.
- ﴿عظماء منسيون في التاريخ الحديث﴾: محمد بن موسى الشريفي نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠ / ٢٠٠٩.
- ﴿قراءات ومراجعات نقدية في التاريخ الإسلامي﴾: د. فاروق عمر فوزي. نشر دار مجلداوي. عمان الأردن. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨ / ٢٠٠٨.
- ﴿مجلة معهد المخطوطات العربية﴾: تصدر عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية.
- ﴿المسلمون وكتابه التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ﴾: د. عبدالعزيز خضر. نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي. الرياض. الطبعة الثانية سنة ١٤١٥.
- ﴿المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ: عرض ومناقشة﴾: الأستاذ وليد نوبيض. نشر دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ / ١٩٩٦.
- ﴿نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء﴾: السير للإمام الذهبي والتهذيب لكاتب هذه الرسالة. نشر دار الأندلس الخضراء. جدة.
- ﴿منهج كتابة التاريخ الإسلامي، مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث المجري﴾: د. محمد بن صالح السُّلَمِي. نشر دار ابن الجوزي. الدمام. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩ هـ.

* * *

الفهرس

٣	مقدمة
٩	المبحث الأول: صفات المؤرخ
٩	١- حسن الصلة بالله تعالى
١٢	٢- القدرة على النقد الحسن
١٢	٣- الرغبة الدافعة له إلى الصبر
١٢	٤- الذكاء وحسن الاستنباط والتعليل
١٤	٥- اتباع الحق لا التجدد والحياد
٢١	المبحث الثاني: التأهيل الشرعي
٢٣	ومن العلوم الشرعية التي يحتاجها المؤرخ
٢٣	أ) علوم القرآن العظيم
٢٤	ب) فهم سيرة الرسول ﷺ
٢٥	ج) فهم الأحاديث التي أخبرت عن الغيب
٢٦	د) الفهم العام لطراائق الجرخ والتعديل
٢٦	هـ) الفهم العام لقواعد الشريعة الإسلامية، والعقيدة الصحيحة
٢٧	و) فهم القواعد العامة لعقائد الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة
٢٧	ز) معرفة أطوار التصوف، وما هو المقبول منه وما هو المبدع المردود

٢٨.....	ح) ضبط ما يُروى وما يُطوى
٣٣.....	المبحث الثالث: التأهيل الثقافي
٣٣.....	١- الاطلاع على أحوال الأمم قديماً
٣٥.....	٢- تكوين الحس النقدي
٣٧.....	ثالثاً: نقد آراء المؤرخين
٣٧.....	٣- فهم مؤامرات أعداء الإسلام ضد تاريخنا
٣٨.....	٤- فهم المنهج الغربي في التقلي والبحث في العلوم الإنسانية
٤٣.....	٥- الاستفادة من المناهج البحثية المعاصرة
٤٤.....	٦- معرفة كيفية قراءة المخطوطات
٤٤.....	٧- حُسن الأسلوب وجزالة العبارات
٤٩.....	المبحث الرابع: التأهيل التاريخي
٤٩.....	١- فهم العلاقة بين علم التاريخ وغيره من العلوم
٥٢.....	٢- قضية أسلامة التاريخ
٥٩.....	٣- قضية إعادة كتابة التاريخ
٦٤.....	٤- قضية الأخذ بمناهج المحدثين في تصحيح الأخبار التاريخية الواردة في كتب السيرة والتاريخ
٧٢.....	٥- فهم مناهج المؤرخين
٧٤.....	٦- الاطلاع على الشبهات المثارة حول التاريخ الإسلامي
٨٥.....	٧- الاطلاع على الكتب التي سردت التاريخ
٨٥.....	٨- الاطلاع على الكتب التي تناولت دراسات محددة من التاريخ
٨٩.....	٩- الاطلاع على ميزات التاريخ الإسلامي

٩٢.....	إحسان عرض التاريخ	١٠
٩٤.....	ملحوظ مهم في تدريس التاريخ في المدارس والجامعات	
٩٧.....	خاتمة	
٩٩.....	المصادر والمراجع	
١٠١.....	الفهرس	



